تصوّفُ الغرب الإسْلامي

كتاب محاسن المجالس
أو
بيان في مقامات السادة الصوفية

لابن العريف الصنهاجي

<u>تقديم دراسة تحقيق وتعليق</u>

أ- الدكتور محمد العدلوني الإدريسي

دار الثقافة
للنشر والتوزيع
34-32 شارع فيكتور هيجو - ص.ب. 4038
الهاتف : 44 76 30 022 / 75 23 30 022
فاكس : 11 65 30 022 . الدار البيضاء 20500

تصوّف الغرب الإسلامي

كتاب محاسن المجالس

أو

بيان في مقامات السادة الصوفية

لابن العريف الصنهاجي

تقديم دراسة تحقيق وتعليق

أ. الدكتور محمد العدلوني الإدريسي

دار الثقافة
للنشر والتوزيع

34-32 شارع فيكتور هيجو - ص.ب. 4038
الهاتف : 44 76 30 022 / 75 23 30 022
فاكس : 11 65 30 022 - الدار البيضاء 20500

الكتــــاب : كتاب محاسن المجالس أو بيان في مقامات السادة الصوفية

تأليـــف : أ ــ الدكتور محمد العدلوني الإدريسي

الطبعـــة : الأولى 1436 هـــ / 2015 م

النـاشـــر : دار الثقافة ــ الدار البيضاء

الحقوق : ©جميع الحقوق محفوظة

الطبـــع : مطبعة صناعة الكتاب ــ الدار البيضاء

الإيـــداع : القانوني رقم 2015 MO 0390

ردمـــك : 978-9954-613-26-9

إهداء

من

محقِّق محاسن المجالس

إلى

كل من جمعتنا بهم أوقات الله في أفضل المجالس

إهداء

إلى القانونية المتميزة

الأستاذة

نحيل نعيمة

مع

كامل التقدير

القسم الأول

مقدمة التحقيق

مقدمة التحقيق

الفصل الأول : المؤلف

الفصل الثاني : الكتاب موضوع التحقيق

الفصل الثالث : النسخ الخطية ومنهج التحقيق

الفصل الأول

المؤلف

أولاً : عصر ابن العريف التاريخي والفكري والتصوف في عصره وفي تجربته :

1 ـ عصر ابن العريف التاريخي والفكري.

2 ـ التصوف في عصره.

3 ـ التصوف في تجربته.

ثانياً : حياته وآثاره :

1 ـ حياة ابن العريف الزمانية والفكرية.

2 ـ أساتذته، تلامذته وآثاره.

أولا : عصر ابن العريف التاريخي والفكري والتصوف في عصره وفي تجربته

1 ـ عصر ابن العريف التاريخي والفكري.

عاصر " ابن العريف"مثله مثل مواطنه وشيخه كبيره " ابن برجان" قيام الدولة المرابطية، من بداية تأسيسها إلى قرب انحطاطها، عاش في كنفها وتحت حكم أمرائها : "أبو بكر عمر" (تـ 480هـ)، و"يوسف بن تاشفين" (تـ 500هـ)، و"علي بن يوسف" (تـ 527هـ).

وقد شهدت هذه المرحلة ـ على قصرها نسبيا ـ عدة أحداث سياسية واجتماعية وفكرية، عايش ابن العريف، من قريب أو بعيد، أهم تجلياتها وكان طرفا فاعلا من بين صُنَّاعِها.

بدأ نجم ابن العريف يطلع في سماء الفكر الأندلسي والمغربي، وبدأت أخباره حديث الأوساط السياسية والعلمية إبان حكم "علي بن يوسف بن تاشفين" . وهي فترة من أصعب الفترات في تاريخ الدولة، والتي تميزت بضعف سياستها الداخلية والخارجية وانفلات أمور البلاد من بين أيدي حكامها، توالي الثورات عليها، إلى أن وقعت نهائيا.

ومن العوامل التي يذكرها المؤرخون، المتسببة في انحطاط الدولة المرابطية : غلطة "يوسف بن تاشفين" وغفلته عن أمور البلاد الشاسعة الداخلة تحت إمرته، وجهله بمقومات تسيير دِفَّةِ الحكم، وعدم الموازنة بين القوى المؤثرة في البلاد، من بين القبائل ذات النفوذ.

أضف إلى ذلك لين ابنه "علي" وضعف مواقفه في حسم أمور ديوانه، وعجزه عن القيام بشؤون الدولة وتسيير دواليبها كما يجدر به. الشطط في استعمال السلطة، وتسلط جند الدولة بجفاء مظهرهم وفضاضة طبعهم على الرقاب، وترهيبهم للناس، وسلبهم لخيرات البلاد وممتلكات العباد، والإفراط عليهم. وكذلك استيلاء النساء على أمور الدولة وغلبتهن على رجالاتها، دون أن تكون أغلبهن مؤهلات لذلك. فكثرت المكائد السياسية وتصفية الحسابات. وكانت لسطوة الفقهاء وتسلطهم على مقاليد البلاد أثر آخر من مؤثرات تسريع وثيرة فقدان المرابطين السيطرة على زمام الإمبراطورية.(1)

أضف إلى ذلك اضطراب الأمور بالأندلس وسحب عدد كبير من القواة المرابطة إلى المغرب، اضطراب شؤون التسيير والإدارة وعدم وجود رجال أكفاء عليها، وتأجج الخلاف بين القبائل المساندة للدولة، إثقال كاهل الشعب بالضرائب واستعمال القوة المفرطة في جِبايَتِها. وكذلك تدهور الأوضاع الاقتصادية والصناعية والزراعية بفعل الجفاف والمجاعات واشتداد دعوة المهدي الموحدي في ثورته، وتكالب الممالك النصرانية وتكاثف هجوماتها على الحواضر الإسلامية بالأندلس، وعجز المرابطين عن الدفاع عنها. زِدْ على ذلك عدم قدرة الدولة على رَدْعِ حركة المريدين المتطرفة في غرب الأندلس بزعامة "ابن قسي"(2).

وعلى الرغم مما عرفته هذه المرحلة من اضطراب وانعدام الأمن وغياب هيبة الدولة، إلا أننا نجد من الناحية الفكرية ونظرا لمجهودات المرابطين، في عنفوان قوتهم، على ترسيخ بعض مظاهر الثقافة وإقامة مجالس العلم، والتسامح مع التيارات الفكرية المختلفة، رغم التشديد على الأخذ بالمذهب المالكي، والانقطاع

---

(1) أنظر من المؤرخين مثلا : المراكشي عبد الواحد : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 260 ط 1 سنة 1978 تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي. وابن القطان، كتاب نظم الجمان تحقيق د. محمود علي مكي.

(2) أنظر حول أسباب انحطاط الدولة المرابطية. مثلا "الحلل الموشية"، نظم الجمان "المعجب"، و"الأندلس في نهاية المرابطين".

لنوع خاص من العلوم، ورفض البدع والأهواء المتطرفة خاصة تحت حكم "يوسف بن تاشفين"[1]. عرفت هذه المرحلة من الناحية الفكرية ازدهاراً ملحوظاً في غالب مجالات العلم والمعرفة، رغم الرقابة والمنع الذي مارسه المرابطون على العلوم العقلية والنظرية، ونبذهم الخوض في علم الكلام والفلسفة والمنطق، وتشجيعهم لعلم الفروع ومساندتهم لفقهائه، ورفضهم لما سواه وتضييقهم على الفقهاء المخالفين لهم. كل هذا لم يمنع من ترويج علوم أخرى تداولها فقهاء وعلماء معارضون : كأصول الفقه والتصوف، النظري منه على الخصوص، وعلم التوحيد، والفلسفة والأدب.

وهكذا برز في علم الكلام أسماء كثيرة مثل "أبي بكر المرادي" وتلميذه "يوسف بن موسى الكلبي" شيخ "القاضي عياض" و"أبي القاسم المعافري السبتي"[2]. وفي ميدان محبة الحكمة طفح اسم "ابن باجة" المعروف "بابن الصائغ". وفي الطب وعلم الفلك اشتهر اسم " أمية بن عبد العزيز أبي الصلت" وابنه أبو مروان عبد الملك المعرف بابن زهر، من أَجَلّ وأَفْهَمِ أطباء الأندلس، وهو أستاذ ابن رشد الطبيب والفيلسوف[3].

وفي اللغة وآدابها وعلوم اللسان سطع اسم "الحسين بن طريف السبتي". أما في علوم الحساب فاشتهر إسم "ابن مرانة السبتي" وتلميذه "ابن العربي السبتي"، وفي علم التاريخ "أبو بكر يحي بن الصيرفي".

وفي التصوف برز اسم كل من "ابن برجان" و"ابن العريف"[4] و"الميورقي"، وهم أقطاب التصوف بالأندلس على عهد "علي بن يوسف" والذين نكبوا بأمر منه بعد وشاية من طرف بعض فقهاء وممثلي السلطة بشرق الأندلس، كما سيأتي توضيحه.

---

(1) يقول المراكشي في المعجب ص255 «انقطع إلى أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من بعده من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة، ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصر.».

(2) أنظر مقال د.عباس الجراري "التيار الفقهي".

(3) أنظر كتاب "عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس" "محمد عبد الله عنان" ج1 القاهرة 1964م، ص274.

(4) أنظر في ذلك "المغرب في حلى المغرب" ج2 ص118.

أما عن علاقة ابن العريف بأمراء المرابطين وحكامهم وموقفه من سياستهم ومن سلوك فقهائهم وقُضاتهم، فتطلعنا المصادر أنه لم يثبت عليه أنه هاجم عواهلها، ورسائله إلى جماعة المريدين بقرطبة توضح ذلك. ففي اعتقاده أن أشد أنواع الإنكار، هو الإنكار على السلطان : « لأنه حجة الله، ولا ينبغي أن ينكر عليه شيء من قوله أو عمله إلا بشرط، منها : الستر والسِّر والرفق والعلم الكامل وسلامة النية وأن لا يُراد بذلك إلا وجه الله وحدهُ »[1].

كما أن الإنكار على أُولي الأمر والنهي عن المنكر علانية هو دعوة إلى الفتنة، لأن : «الإنكار في العلانية على الحكام ... من فساد سِرِّ المُنْكِرِ، وإعلام ركونه للحرام أو الكراهية. والمختار عند العلماء باتفاق منهم، الإمساك عما في إنكاره إياه منكراً مساويا أو أشد ...»[2].

بينما كان هجومه قويا على بعض فقهاء عصره، الذين انحرفوا عن الطريق السوي، وتقاعسوا عن خدمة الناس ورد الحقوق إلى أصحابها، وإصدار الفتاوى الزائفة، ومساندة الحاكم الجائر، واكتناز الذهب والفضة، والتطاحن على المناصب وارتقاء الدرجات الدنيوية. إذ أسماهم بـ «علماء أهل السوء وكبراء أهل الدنيا المغرورين»[3].

وقد كان لنقده هذا، خاصة ذلك الذي وُجِّهَ إلى الفقهاء والقضاة أثر مزدوج : فمن جهة رسخ مكانته بين الناس وعمق حبهم له، وأصبح ذا شهرة كبيرة بينهم، لاهتمامه بقضاياهم الاجتماعية وهمومهم ومشاغلهم الوجودية، ولعدم سكوته على الظلم ودفاعه عن تحقيق الحق، ونصرة الدين وتعميق النظر في وجدانياته وروحانياته، مما عَظَّمَ من تعاطف الأفراد والجماعات معه، وإظهار تدمرهم من سلوك طبقة الفقهاء والقضاة.

(1) أُنظر الرسالة الموجهة إلى أبي عبد الله بن يوسف، الرسالة السادسة كتاب مفتاح السعادة ص 170.
(2) أُنظرمن رسالة ابن العريف إلى أبي محمد عبد الغفور، كتاب مفتاح السعادة ص198.
(3) نفس المصدر ص99.

ومن جهة أخرى أثار هذا النقد، وكذلك المكانة التي تبوأها بين مريديه وبين طوائف من التابعين والمعجبين، غضب وحنق وحسد بعض القضاة والفقهاء، فأنكروا عليه مذهبه واتهموه بما تورط فيه بعض مريديه[1]. وأقاموا عليه حملة شعواء، وعملوا على تنسيق الهجوم العنيف ضد مذهبه، وتأليب السلطة عليه، على الرغم مما تتسم به رسائله إلى مريديه من إلتزام بالكتاب والسنة ومثابرته على ذلك.

وقد تزعم هذه الحملة "القاضي أبو بكر محمد بن الأسود" (توفي سنة 536هـ)[2]، الذي أرسله مقيدا للمثول بين يدي "علي بن يوسف" على نفس السفينة التي أبحرت إلى سبتة بالإمام "ابن برجان" و"أبي بكر المايورقي"[3].

ويبدو أن ابن الأسود، حسب ما ذكره التادلي، لم يكن له أمر من طرف الأمير "علي" بإحضار " ابن العريف"، لأنه عندما علم بإشخاصه إليه غضب على تسرعهم، وأعطى أوامره بتسريحه وتكريمه، لِما كان يعلم من فضله وصلاحه[4]. لكنه أمر بجلد أبي بكر الميورقي ووضعه في السجن، بينما غضب بشدة من أبي الحكم بن برجان، لتورطه في أحداث المريدين، ولمبايعته بالإمامة في عدد كبير من مدن شرق الأندلس[5].

---

(1) وهذه المسألة قد جعلته يتفطن إلى ما يحاك ضده خاصة بعدما قام به بعض المتطرفين من المريدين تُوِّجَتْ بثورة على المرابطين. وهذا ما جعله يكتب رسالة تبين توجس ابن العريف من النظام القائم بقوله : «سال سيل الفتنة ونحن طريقه، وعش ليل المحنة وفينا فريقه، وانخسفت الأرض، فيما المسيء والبريء، فعمم الله العدل فيما جاء». (مفتاح السعادة ص 180)

(2) وهو "محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد محمد بن عمر بن الأسود" من أهل ألميرية عين قاضيا بها يوم الخميس 8 شعبان 521هـ. توفي بمراكش بعد نكبته سنة 536هـ في نفس السنة التي توفي بها "ابن العريف". له تأليف في شرح القرآن، واعتناء بالحديث. أُنظر ترجمته الكامل في "المعجم" "ابن الأبار"، ترجمه 116 ص 130.

(3) يذكر ابن عبد المالك في الذيل والتكملة، السفر 6 الترجمة 452 ص 163 : أن الأمير علي بن يوسف عفا على المايورقي وأمر بتسريحه فعاد إلى الأندلس موطنه وبعدها إلى الجزائر وتوفي ببجاية سنة 536هـ في نفس السنة التي توفي فيها ابن برجان وابن العريف.

(4) أُنظر التشوف رقم الترجمة 18 ص 119.

(5) ابن عبد المالك الذيل والتكملة سفر 6 ترجمة 452 ص 169.

ولتورط ابن الأسود في موت ابن العريف يذكر المؤرخون أن علي بن تاشفين أمر بأن يموت بنفس الطريقة التي تسببت في مقتله[1].

2 ـ التصوف في عصر ابن العريف :

التصوف بالغرب الإسلامي على عهد ابن العريف بَلَغَ مرحلة هامة من تطوره، فبعد فترة ابتدائية ساذجة، ارتبطت بالزهد والرياضة وحياة المجاهدة، ستتوج بأول مدرسة صوفية فلسفية برئاسة " ابن مسرة الجبلي " (تـ 319 هـ)، الذي كان أول من اهتم بقضايا الزهد والتصوف في حُدوده الأولية، المدعم بالآراء الكلامية والفلسفية والعقائد المختلفة الوافدة على الأندلس. وقد امتدت هذه المرحلة من حوالي سنة 450هـ إلى سنة 560هـ، حيث قيام أهم مركز صوفي في شرق الأندلس، وخاصة في مدينة ألميرية.

وتدعى هذه الفترة بالوسطى، على أساس أن نفس المنطقة ستعرف مرحلة متأخرة، تم فيها نضج التصوف مع رواد كبار كابن العربي الحاتمي وابن سبعين الغافقي وأبي الحسن الششتري.

ويتجلى التطور الذي عرفه التصوف في مرحلته الوسطى على عهد ابن العريف : في التنظيم المنهجي والتنسيق النظري بين القضايا الفقهية، والآراء الكلامية، والأفكار الفلسفية، والتجارب الروحية، ومحاورة المقامات والأحوال الصوفية، مع الاهتمام بالشؤون السياسية والخوض في غمارها. والانتقال بالتصوف من مدارجه الأولى إلى تصوف مكتمل المعالم **أسلوباً** ؛ حيث أصبحت لُغَة التصوف لغة اصطلاحية، وطبعت بطابع الخصوصية والنخبوية. **وموضوعاً** ؛ حيث بدأ اهتمام التصوف بمباحث الوجود والمعرفة والقيم الجمالية والأخلاقية. **ومَنْهَجاً** ؛ إذ صار المتصوفة يتناولون قضاياهم الذوقية بشكل يظهر فيه استعمال العقل والحكمة المنطقية، من تأمل وتحليل ونقد وتركيب بشكل يُغَلِّفُ فيه الوجدان أسس البرهان.

---

(1) ذكر صاحب التشوف (نفس المصدر، ونفس الصفحة) أن ابن الأسود حقد على ابن العريف لما حصل عليه من حُظْوَةٍ عند السلطان، فسأل عن أحب الطعام إليه فقيل له الباذنجان، فصنعه وعمل فيه السم، واحتال عليه إلى أن أكله فمات، فلما علم السلطان بما كان من ابن الأسود في جانب ابن العريف قال : لأعذبنه ولأسممنه كما فعل بابن العريف : فبعثه إلى السوس الأقصى وأمر أن يسقى سما هناك، فَنَفَّذَ ما أمر به فمات.

ويمكن اعتبار مدينة ألميرية بهذه المرحلة التاريخية، من أكبر المراكز الفكرية بالعالم الإسلامي ؛ للمكانة المتميزة التي كانت تتبوؤها، إن على المستوى الاقتصادي أو الفكري أو الاجتماعي، لكونها أول وأهم موانئ الأندلس، ولدورها الجهادي في الإسلام ؛ فهي مدينة الإسلام بحق[1]. كما أنها مركز للتصوف والعلوم الفقهية، ولعبت دوراً رائداً في تطور العلوم الدينية : كعلم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، وترويج الأفكار والعقائد الوافدة من البلاد المختلفة.

والواقع أن منارات التصوف كانت تشع من جل المدن الأندلسية، مُشَكِّلَةً حزاما من شرق البلاد إلى غربها. لكن تبقى مدينة ألميرية المركز الأساس للوجود الصوفي.

ويبدو من خلال الرسائل التي تبادلها ابن برجان مع ابن العريف وشيوخ صوفيين آخرين[2]، أن القوم كانوا أجنحة مختلفة الآراء والأفكار، لكن الصلات بينهم سواء منهم متصوفة الشرق بـ"بلنسية" و"ألميرية"، أو متصوفة الوسط بـ"قرطبة"، أو متصوفة الغرب بـ"إشبيلية" و"شلب"، كانت متينة وعميقة.

فإن كان أغلبهم ملتزمين بالكتاب والسِّيرة النبوية العطرة، مثل "أبي الحسن بن غالب"[3]. و"أبي محمد عبد الجليل القصري"[4]. و"أبي عبد الغفور"[5]. وعلى رأس هؤلاء جميعاً "ابن العريف" الذي كان يؤكد على أصحابه من المريدين الالتزام بالسنة[6].

فإن جماعة منهم كانت ذات اتجاه ظاهري، (على مذهب داود) ومن رُوادِهِ : "أبو عبد الله محمد بن خلف الشبوقي"[7]. وعلى رأس هذه الجماعة "أبوبكر محمد بن الحسين الميورقي"[8].

---

(1) أنظر عن تاريخ مدينة ألميرية السيد عبد العزيز سالم، بيروت 1969 ص 87 ومن بعدها.

(2) أنظر الرسائل التي نشرها بول نويا :

Paul Nwiya "Note sur quelques fragments inédites de la correspondance d'Ibn Al Arif avec Ibn Barrajan. H.Hesperis 1956, 2ème T, PP. 217 - 221. "

وكذلك الرسائل الواردة في كتاب مفتاح السعادة لابن العريف.

(3) ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير ترجمة 201 ص 99.

(4) ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير ترجمة 44 ص 30.

(5) ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير ترجمة 52 ص 37.

(6) أنظر مفتاح السعادة، الرسائل.

(7) ترجمته بالذيل والتكملة ترجمة 498 ص 181.

(8) ترجمته بالذيل والتكملة ترجمة 452 ص 169، والمعجم ترجمته 123.

وتبقى أخطر جماعة، تلك التي تمثل الجناح المتطرف، والتي تضم جماعة من المولدين ذات الأهداف السياسية المعادية للمرابطين، المنادية بالأندلس للأندلسيين، ولا شك أنها امتداد لتلك الدعوات التي سادت في عهد الخلافة الأموية.

هذا الجناح كان يميل إلى المذهب الباطني وقول أصحابه بالقطب والأبدال، كما كان الإسماعلية الرافضة يقولون بالإمام والنقباء. كما أُشْبِعُوا أقوال الشيعة في المهدي المنتظر[1]. وكان رأس هذه الجماعة ابن قسي (تـ 546هـ) [2] صاحب كتاب خلع النعلين.

وقد استطاع ابن برجان من جهة وابن العريف من جهة أخرى ؛ الأول باعتباره الإمام القطب، والثاني باعتباره الرجل الثاني في المشيخة الصوفية بالأندلس، استطاعا أن يوازنا بين هذه التيارات المتضاربة وخلق الانسجام بين أجنحة الطوائف الصوفية، وأن يَحُدًّا من تطرف الباطنية ولو إلى حين.

ويمكن أن نجمل العوامل والأسباب التي تظافرت من أجل انتشار التصوف وبروز مركزية مدرسة ألميرية فيما يلي :

أ ـ أن التصوف لم يأت انتشاره في هذه المنطقة وعلى هذا الزمان بشكل عفوي، بل حدث عن قصد ووعي لحاجات الناس وخاصة بعد سقوط الخلافة بالأندلس وغياب قيادة قادرة على حماية البلاد والعباد، مما دفع ببعض الجماعات وعلى رأسهم العباد والزهاد والمتصوفة إلى الجهاد، سواء منه الأخلاقي الفكري أو الآخر الكفاحي المسلح، وكونوا تنظيمات داخلية محكمة، فعمت بذلك التيارات الفكرية

---

(1) ابن خلدون كتاب المقدمة، ص 323. دار الفكر (د.ت).

(2) أنظر ترجمته الكاملة في :

أ ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، طبعة سلا، تحقيق الفاسي ص 126.

ب ـ الأعلام ج2، الرباط 1974 ترجمة 127، ص 58.

ج ـ أعمال الأعلام لابن الخطيب، طبعة بيروت ص248 - 249.

المتطرفة من باطنية وظاهرية وغيرها[1]. وقد ظلوا على ذلك حتى بعد قيام الدولة المرابطية[2].

ب ـ ما عرفه المجتمع الأندلسي في عصر الطوائف الأول من انحلال ديني وخلقي، امتد إلى عهد حكم المرابطين الذين لم يستطيعوا تبديل الحياة المترفة الماجنة التي تعودها الأندلسيون، مما دفع ببعض الناس إلى التزهد والتصوف بعيدا عما يجري.

ج ـ سطوة الفقهاء وسيطرتهم على المجال الديني والدنيوي، جَعَلَ ظهور المتصوفة ونضج قضاياهم الذوقية والروحية، أشبه بالتمرد السياسي والديني ضد التزمت والحضر الفقهي.

د ـ نضج الفكر الفلسفي الأندلسي ودَوْره في طبع التصوف بطابع نظري متميز.

هـ ـ المؤلفات الصوفية والفلسفية على اختلاف أصولها، لعبت دوراً تكوينياً وحركياً فاعلاً، في بروز الصوفية بالأندلس عامة وألميرية خاصة. ومن أهمها : "رسالة القشيري"وكتاب " أبي طالب المكي"" قوت القلوب"وكتاب " المحاسبي" "التحبير في التذكير" ؛ وكتاب يومن بن رزق " الزهد". وكتاب "منازل السائرين" للهروي وكتب " الغزالي"وخاصة كتاب "إحياء علوم الدين "، الذي كان موضوع خلاف وفتاوى وإحراق من طرف فقهاء المرابطين والحكام المساندين لهم.

وكذلك كتب "ابن مسرة الجبلي": "التبصرة"و"الحروف"، و"ابن السيد البطليوسي": " الحدائق في المطالب العالية الفلسفية".

وكتاب "أبي الصلت بن أُمية"في المنطق : "تقويم الذهن". وكتاب "ابن طفيل": "حي بن يقظان"وكتاب " ابن باجة" : " توحيد الموقنين". بالإضافة إلى كتب "أفلاطون" و"أرسطو"و"الفارابي"و"ابن سينا"، المُفْعَمَةِ بالآراء والنظريات الفلسفية اليونانية والمشرقية في الوجود والمعرفة والقيم.

---

(1) ارجع إلى : Dominique Urvoy : une étude sociologique des mouvements religieux; dans l'Espagne musulmane de la chute du califat du milieu du XIII, Paris 1972 P235.

(2) حول صوفية المجاهدة، أنظر مقال د.حسين مؤنس : الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام في الصحراء الكبرى. مجلة المعهد المصري، مدريد 1981.

3 ـ تجربة ابن العريف الصوفية :

مذهب "ابن العريف" الصوفي مذهب سني معتدل يقتفي آثار السلف الصالح المهتدى بهديهم، شديد التمسك بكتاب الله وسنة نبيه. وهو في ذلك ينحو منحى إمامه " ابن برجان" في التأكيد على أصحابه المريدين في حلقاته ورسائله، بالالتزام بالسنة قولا وفعلا، متخلقا بأخلاق نبيه ذي الخلق العظيم، خلق القرآن الكريم. ولهذا كان يحذرهم ويحثهم على الابتعاد عن النزعات الهدامة المضلة[1].

غير أن هذا لا يمنع من القول بأنه كان كغيره من متصوفة هذه المرحلة، وإن كان يأخذ بمبادئ السنة، يأخذ في الباطن بآراء الفلسفة عند خوضه في مباحث الوجود والمعرفة والقيم الأخلاقية، ويضمنها آراءه الصوفية، إن على المستوى الوجودي (الله والكون والعلاقة بينهما) أو الإبستمولوجي العرفاني (المعرفة الذوقية الباطنية وأدوات تحصيلها).

وقد سن طريقة جديدة للحياة الروحية تستند إلى الحكمة الإلهية عند ابن مسرة[2] تجلت في علاقته مع مريديه وانعكست على آرائه في الزهد[3] ومبحثه في المعرفة، ورأيه في أن الله أصل كل شيء وحقيقة كل موجود[4].

---

(1) يقول ابن العريف في مفتاح السعادة ص91 : «المذموم على الحقيقة ما ذمه الله ورسوله، وأضافه بلسان الشرع : الكفر والأهواء والمعاصي، وإيثار الدنيا على الآخرة، وإذا أنعم الله على العبد أن يكون الإيمان شعاره، والسنة دثاره، والطاعة داره، والزهد في الدنيا عن اختيار الآخرة قراره، فقد أحبه، والسلامة من كل ما ذمه الله ورسوله في السلامة من ستة مذاهب أنكرها الدين وذمها، وهي السموم القاتلة، ولابد لمن تعلم العلم من معرفتها وتميزها :

ـ مذهب التقليد المذموم بألسنة العلماء المشابه للقدوة والاتباع وليس به.

ـ مذهب القياس المذموم ....

ـ مذهب التعلق ... قوله تعالى : { ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين }. (ص :86).

ـ مذهب الفلسفة ...

ـ مذهب الظاهرية ...

ـ مذهب العبث ... في قوله عز وجل : { وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا } (الأنعام : 70)

(2) أنظر كتاب «تاريخ الفلسفة الإسلامية ص335 ط1966 تأليف هنري كوربان، ترجمه نصير مروة، حسن قبيسي.

(3) أُنظر رأيه في الزهد وتمييزه بين زهد العوام وزهد الخواص بكتابه محاسن المجالس.

(4) يقول في كتابه مفتاح السعادة ص 82 : «... إنك أنت الله في حقائق محض التحصيل، وبأنك أنت الله بكل وجه من وجوه الجملة والتفصيل ... أنت الله على كل حال من أحوال الجد والتعويل، وبأنك أنت الله المقدس بخصائص الأحدية والصمدية عن الضد والند ... والنقص والنظر، وبأنك أنت الله الذي { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} (الشورى :11).

كما أنه دشن حركة الحب الإلهي في الشعر، على اعتبار أن (الحب الإلهي) هو سِرٌّ خلق العالم، وأنه لا يدرك ذلك إلا الخواص من الصوفية، لأن في محبتهم تَظْهَرُ لهم حقيقة الوجود وسر الخلق[1].

ويعد مبحث المعرفة الصوفي أهم ما يميز تصوف "ابن العريف"، وخاصة المنحى النقدي الذي انتهجه، من أجل التمييز بين أصناف الطالبين، وإبراز الفرق بين العلم والمعرفة.

ويمكن الاطلاع على آرائه الصوفية من خلال ثلاث مصادر هامة :

- " محاسن المجالس" الذي كان موجها، كما سَنَتَبَيَّنُ ذلك، إلى خاصة الخاصة، القائمين بمهمة التذكير، والهادف إلى تسهيل الطريق الصوفي على المريد.

- "مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة"، الذي ضمنه آراءه وأشعاره وخواطره وأدعياته ورسائله الذوقية.

- و"الفتوحات المكية لابن عربي"، الذي تضمن آثارا كثيرة من آراء "ابن العريف" كاستشهادات تدعم أطروحته في الوجود والمعرفة وفي قضايا صوفية أخرى[2].

ويظهر الطابع النقدي الذي انتهجه "ابن العريف" واضحاً في محاسنه ومن خلال رسائله المتضمنة في " مفتاح السعادة"، فعن نقده لوسائل المعرفة المتخذة من طرف غير الصوفية، يرى في مقالته حول "النفس والعقل واحتقارهما" : | « إن الذي يصد بواعث القلوب عن تحقيق ما تذكره الألسن من المودة والمحبة نفس تخاف وعقل يعاف، وليس عند النفس إلا الرياء والجهل، ولا عند العقل إلا الرياسة والدهاء. فإن النفس من شأنها أن تكتم عيبها وتجفو من يرى عيبها، والعقل يداهي ليظهر أنه يتناهى وفي مثلها تخرص الأقلام والألسن[3]».

---

(1) لأن المحبة عند الخواص من الصوفية، «محبة خاطفة تقطع العبارة وتدقق الإشارة ولا تنتهي بالنعوت، ولا تعرف إلا الحيرة والسكوت» (محاسن المجالس). وقد نَظَّرَ ابن عربي في كتابه «فصُوص الحكم» للمحبة باعتبارها من جهة أساس خلق الله للعالم بقول «كن» وهو أساس معرفة أحبائه له بالتقرب : أُنظر الفص الآدمي ص 48 وما بعدها. تحقيق أبو العلا عفيفي ط2، 1980م.

(2) لمعرفة المواضع التي أشار فيها ابن عربي لابن العريف وآرائه الصوفية، ارجع إلى الملحق الخاص بذلك في آخر الكتاب، وكذلك الفتوحات المكية ج 1 ص93، ص 175، 228. ج 2 ص 86، 290، 318، 325. ج4 ص313، 580.

وفي هذا دعوة إلى كل من يعمل العقل ويستعين بِرُفقائه من نفس وحِسٍّ، من أجل الخوض في حقيقة الربوبية، إلى إبعاد النظر العقلي عن ميدان لا سبيل إليه بالعقل، لأنه من غير مجاله وفوق طاقته. ويحذرهم من اتباع مناهجه، لأنها في نهاية مطافِها لا تؤدي إلا إلى طريق مغلق كله وهم وضلال وجهل، ويحثهم على خوض التجربة الروحية وصقل مرآة القلب وتهييء الباطن لتلقي المدد الإلاهي.

لكن لا يجب أن يفهم من ذلك أنه يرفض العقل جملة وتفصيلا، ولا يعطيه أي دور في حياة الإنسان المعرفية، بل كان يضع العقل في موضعه ويحدد له دوره الحقيقي، لكن دون أن يَنْفِيَ عجزه عن إدراك الحقيقة المطلقة. فالعقل عنده يحتل المرتبة الخامسة من المراتب التي بها قوام الإنسان. يقول : « الأنوار الخمسة : نور البصر ويمده نور الشمس، فهو يحي بمتابعته ويموت بمعارضته ومناقضته. ونور العقل ويمده نور التجربة. ونور القلب ويمده نور الكتاب والسنة، وموافقة كافة المطيعين بالحقيقة للكتاب والسنة. ونور الفطرة، ويمده نور الإيمان. ونور الإرادة ويمده نور حقيقة الحق»[1].

وكما يبين قصور العقل والنفس في بلوغ اليقين يتجه نحو آلية التأويل لفحصها وتبيان صحيحها من فاسدها، فيرى أن كل من : « تأول من الدين تأويلاً يؤدي العمل ما دون الوجهين فهو ظاهري، ومن تأول شيئا من الدين تأويلاً خارجاً عن حكم ذلك الشيء وحكمته والمعروف المشهور المتصور من أمره فهو الباطني، وكلاهما تالف إلا من عصم الله تعالى »[2].

وهذا يقتضي من المتأول للنصوص الدينية أن يكون ناهجاً طريق المكاشفة، لأن التأويل العقلي أداة احتمال لا يقين، قدرته محدودة على بلوغ الحق، بينما التأويل الصوفي أو المكاشفة لا يتم فيها إقصاء الظاهر على حساب الباطن ولا الباطن على حساب الظاهر[3].

---

(1) مفتاح السعادة : ص105.

(2) نفس المصدر : ص169 من رسالة ابن العريف إلى جماعة قرطبة.

(3) أو على حد تعبير الشيخ الأكبر الذي كثيرا ما كان يستلهم آراء ابن العريف : «الظاهر والباطن أخوان مزدوجان لا ينفصلان، فمن عرف الواحد عرف الآخر». (كتاب الشاهد، ضمن رسائل ابن عربي، دار إحياء التراث العربي ط1 ج 1 ص17، بيروت (د.ت)

ومن مميزات نظرية "ابن العريف" الصوفية ذات الملامح الثيوصوفية (التي تهتم بالحكمة الإلهية) هو تقسيمه الناس إلى فئات : علماء ومريدين وعارفين، وَاضِعاً بذلك أسس نظريه المعرفة الصوفية، معتبرا أن موضوع المعرفة الحق هو الله ليس سواه، وأن العارفين الخلص هم الذين يجدّون ويجتهدون في سلوك الطريق إليه.

والتوحيد هو أول تلك المعرفة وآخرها وأعظم نتيجة لها، يقول : «المعرفة حجتي، والعلم محجتي، فالعالم يستدل إلي والعارف يستدل بي فالعلماء لي والعارفون بي. علق العباد بالأعمال، والمريدون بالأحوال، والعارفون بالهمم، والحق وراء ذلك كله، ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت إلا الأزل، وما يبقى فعمى وتبليس. فالأعمال للجزاء، والأحوال للكرامات، والهمم للوصول، وإنما يتعين الحق عند اضمحلال الرسم ... »[1].

ولكي نستوعب التفرقة التي أقامها "ابن العريف" في هذا النص، بين العلماء الذين يتعلقون بالفكر والنظر فيما عَلِموه من ظاهر الشرع، والمريدون الذين ينصرفون إلى الأحوال، والعارفون العالقون بالهمم[2]. لا بأس أن نوضح بعض المنطلقات الفكرية الصوفية :

أ ـ الصوفية يعتبرون أنفسهم أنهم حُماة الملة العارفون بحقيقتها، ولذا يميزون بين الدين بمعناه الظاهر الذي هو مظاهر ورسوم، وبين الدين في كنهه ؛ الذي يتصل بأحكام الباطن وأعمال القلوب[3]. أو على حد تعبير القشيري : إذا كانت الشريعة أمراً بالتزام العبودية من حيث أنها مناط تكليف الخلق، فإن الحقيقة مشاهدة الربوبية وإنباء عن تصريف الحق[4].

---

(1) محاسن المجالس : فصل المعرفة. وهو في هذا متأثر بالغزالي الذي كان يرى أن حقيقة معنى المعرفة كمصطلح صوفي متميز عن العلم وذلك في قوله : « المعرفة هي العلم الذي لا يقبل الشك، إذا كان المعلوم ذات الله تعال وصفاته». (أنظر كتاب "ميزان العمل" مكتبة الجندي، القاهرة، ص175).

(2) الهمم : ج همة، وهي توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحية إلى جانب الحق لحصول الكمال وانكشاف الحجاب. (تعريفات الجرجاني).

(3) تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية القاهرة 1966 ج1 ص304.

(4) الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي (د.ت) ص 40. فقرة المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والفناء.

ب - الشريعة في نظر الصوفية وغيرهم من الخواص جانبان : ظاهر (للعمل) وباطن (للمعرفة)، وللترقي من الظاهر إلى الباطن ومن الشريعة إلى الحقيقة لا بد من قطع الأحوال أو على حد قول أبي يزيد البسطامي : «للخلق أحوال ولا أحوال للعارف لأنه مُحيت رسومه بهوية غيره»[1].

ج - إن العرفان يتميز بكونه ليس عملاً من أعمال العقل والجوارح كما في الشريعة، ولا عملاً من أعمال العقل والمنطق كما في الفلسفة. وإنما هو عمل من أعمال الإرادة، باعتباره الإقبال بالكلية على الحق والإعراض عن الخلق وباعتباره كذلك ابتداء المحبة وصفة تجلي علم الحق[2]. فعن طريق الإرادة تتم معرفة الصوفي المحقق بالله، معرفة ذوقية قلبية مختلفة تماما عن المعرفة الناتجة عن ظاهر الشرع أو عن المعرفة العقلية المنطقية. فعن طريق الإرادة يتم التحول الذي ينشده الصوفي العارف، والترقي إلى مرتبة شهود الله والفناء فيه.

انطلاقا من هذه الحقائق يرى "ابن العريف" أن المتصوف العارف هو الذي يستطيع أن يتجاوز مرحلة الرسوم الشرعية التي يتعلق بها العوام، بل أكثر من ذلك، إنه هو الذي يستطيع أن يتجاوز مرحلة الأحوال والمقامات التي يتعلق بها المريد، ليتم له الشهود. فالشهود هو الغاية القصوى للصوفي العارف، حتى إنه لا يشاهد في الكون سوى وجه حبيبه [3]، ويختم على قلبه فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه، ولا يبدو له في الوجود إلا هو. أو كما أنشد[4] :

بَـدا لَـكَ سِـرٌّ طَـالَ عَنْـكَ اكْـتِـتَـامُـهُ ... وَلاَحَ صَبَـاحٌ كُـنْـتَ أَنْـتَ ظَلاَمُـهُ

فَـأَنْـتَ حِجَابُ الْقَلْبِ عَنْ سِرِّ غَيْبِـهِ ... وَلَوْلاَكَ لَـمْ يُـطْـبَـعْ عَلَيْـهِ خِتَـامُـهُ

فَـإِذَا غِبْتَ عَنْهُ حَلَّ فِيهِ وَنصبت عَلَى ... مَنْكَبِ الكشف الْمَصُونِ خِيَـامَـهُ

وَجَـاءَ حَـديـثٌ لا يُـمَـلُّ سَـمَـاعُـهُ ... شَـهِـي إِلـيـنـا نَـثْـرُهُ وَنِـظَـامُـهُ

(1) نفس المصدر ص 167.

(2) انظر معجم المصطلحات الصوفية، د.حنفي.

(3) ذكر ابن عربي هذا القول لابن العريف بمناسبة الحديث عن المحبة والشهود، الفتوحات المكية ج 2 ص 325.

(4) ابن العريف : محاسن المجالس.

أو كما قال كذلك[1] :

رَأَيْتُ رَبِّي بِعَيْنِ قَلْبِي فَقُلْتُ لاَ شَكَّ أَنْتَ أَنْتَا

أَنْتَ الَّذي حُزْتَ كُلَّ أَيْنَ فَحَيْثُ لاَ أَيْنَ ثَمَّ أَنْتَا

وَحُزْتَ حَدَّ الدُّنُوِّ وَالْبُعْدِ لاَ يَعْلَمُ الأَيْنَ أَيْنَ أَنْتَا

أَحَطْتَ عِلْماً بِكُلِّ شَيْءٍ وَكُلُّ شَيْءٍ نَراهُ أَنْتَا

وَفِي فَنَائِي فَنَاءُ فَنَائِي وَفِي فَنَائِي وَجَدْتُ أَنْتَا

وما يمكن أن نستشقَّه من هذه الأبيات وغيرها من أفكار "ابن العريف" في مسألة حالة الفناء والشهود هو انتقاله من حال الشهود الذي يكون فيها الصوفي فانيا عن ذاته لا يشهد إلا الله إثر : « شغله به واستغراقه فيه (...) ومشاهدة فردانية (ذاته) وقدمها وصمديتها (...) وبقائها (...) وحياتها (...) وإرادته (...) وقدرته (...) وسمعه (...) وبصره (...) وكلامه (...) وجمال (وجهه) وجلاله ...»[2]. إلى القول بوحدة الشهود أي القول بأنه لا موجود ولا مشهود إلا الله : « فما سوى الحق حجاب ... ولولا العبد لشوهد الرب ...»[3].

وإذا كان الفناء الصوفي يفيد : فقدان الفاني الإحساس بالاستغراق في عظمة الله والاستهلاك فيه، مصداقا لقول رب العزة : ﴿ **كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[4]. ولما كان الفناء ثلاث درجات :

<u>الأول :</u> فناء عن إرادة السوى : إنه فناء عن الإرادة الإنسانية لتحقق الفاني بأن الإرادة الحقيقية هي إرادة الله.

<u>الثاني :</u> فناء عن شهود السوى : والمراد به ليس فناء ما سوى الله في الخارج بل فناؤه عن شهودهم وحسهم، حيث يغلب شهود القلب لمحبوبه، فيظن أنه هو نفسه، وهذا ما يطلق عليه وحدة الشهود.

---

(1) ابن العريف : محاسن المجالس.

(2) نفس المصدر السابق.

(3) نفس المصدر السابق.

(4) الرحمان : 27.

الثالث : فناء عن وجود السوى : هو الذي تكون فيه غاية العارفين الفناء في الوحدة المطلقة، والإقرار بأنه ما ثَمَّ إلا الله ونفي التعدد والكثرة في الوجود، وهذا ما يطلق عليه وحدة الوجود الصوفية.

فإن تجربة ابن العريف الصوفية جعلته ينتقل من الفناء في مدارجه الأولى إلى الفناء في مدارجه الثانية وتحقيق وحدة الشهود.

وإذا كان هناك فرق بين وحدة الشهود ووحدة الوجود، على أساس أن الأولى حال أو تجربة يعانيها الصوفي، فهي ليست عقيدة أو علما أو دعوى فلسفية يمكن إقامة البرهان عليها، أو مطالبة الغير بتصديقها، لأنها غير خاضعة لوصف أو تفسير.

فإن الثانية "لا يقصد بها وحدة الألوهية، بل وحدة الحقيقة الوجودية. حقيقة أن الوجود وحدة، ظاهرها المخلوق وباطنها الخالق. ويمكن اعتبارها عقيدة أو نظرية فلسفية لا يمكن إقامة الدليل عليها، ولكن تحقيقها عن طريق التجربة الصوفية ممكن.

وَتَجْدُرُ الإشارة هنا إلى أنه بالرغم من الانتقال من الفناء ووحدة الشهود إلى وحدة الوجود، لم يتم عند متصوفة القرنين الثالث والرابع الهجريين، أمثال "أبي يزيد"و"الجنيد"و"الشبلي"و "ذي النون المصري". فإن هذا الانتقال مهدت له نظرية "ابن العريف"في الفناء ووحدة الشهود، إذْ سيجمع "ابن عربي"بين " وحدة الشهود "و"وحدة الوجود".

وهي قضية لا يمكن الشك في حقيقتها كما لا يمكن التدليل عليها، بل هي لا تدرك إلا في حالة وحدة شهود عندما يفني العبد عن نفسه وعن الخلق ؛ أي لا يدركها إلا في حالة وحدته الذاتية مع الله الحق[(1)]، لا عن طريق الذوق وحده ولا عن طريق العقل وحده، بل عن طريق العقل المؤيد بالذوق والكشف الرباني.

وقد استدل "ابن العربي " بكثير من أقوال وأفكار ابن العريف وبفقرات من كتابه محاسن المجالس لتدعيم وتبرير أطروحته الجريئة في وحدة الوجود أو الفناء المطلق.

---

(1) أبو العلا عفيفي : التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب بيروت (د.ت) ص 170 (أنظر مسالة الانتقال عنده).

ثانيا : حيـاتـه وآثـاره

1 - حياة ابن العريف [1].

أ - هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي. الصنهاجي نسبة إلى صنهاجة، وحسب ما أكده "ابن حزم" في "جمهرة الأنساب"، أن من بيوتات البربر الذين كانوا بالأندلس صنهاجة منهم، وهو خلاف لما ذهب إليه بعض المؤرخين، على أنهم من عرب اليمن ومن حيمر بالذات.[2]

غير أن ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" يرى أن : الصُّنهاجي بضم الضاد المهملة وكسرها، نسبة إلى صُنهاجة قبيلة مشهورة من حيمر وهي بالمغرب[3]. ولد يوم الأحد من فجر ثاني جماد الأولى سنة 481هـ - 1088م.

أبوه هو محمد بن موسى، أصله من "طنجة"، أطلق عليه اسم "العريف" لأنه كان يعمل عَريفاً بحرس الليل، وقائما بأمر الجماعة. ثم رَحَلَ بعد ذلك إلى مدينة "ألميرية" ليدخل في رجال "ابن صمادح"، وهي أسرة "معن بن صمادح" أحد ملوك الطوائف، حكمت ألميرية من 433هـ - 1041م إلى 484هـ - 1091م، ويصبح من أجنادِها.

---

(1) أُنظر ترجمته الكامل في :

أ - ابن الأبار، "المعجم في أصحاب القاضي"، ترجمة 18 ص15.

ب - أبو العباس بن إبراهيم، "الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام"، جII، ص5، ترجمة 125 ص5، 1974م.

ج - ابن فرحون، "الديباج المذهب"، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت) ص58.

د - ابن خلكان، "وفيات الأعيان" تحقيق د. إحسان عباس، ج1، ترجمة 68، ص168، بيروت: 1968م.

هـ - ابن باشكوال، "الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ..." ترجمة 176، ص68.

ي - ابن الزيات، "التشوف" تحقيق د. أحمد التوفيق، الرباط 1984م ص ص118 - 122.

و - الضبي، "بغية الملتمس"، ترجمة 860 ص 166.

(2) الأعلام، ص 13.

(3) الأعلام، ص 16.

ب ـ نشأ ابن العريف في أسرة متواضعة ماديا واجتماعيا. وكان من ضيق حال والده وحاجته ومعاناته من العوز، أن رفعه في صِغَر سنه إلى حائك وإلزامه تعلم مهنة يَتَعَيَّشُ بها، بدل إرساله إلى الكتاتيب ومعاهد العلم التي كانت منتشرة بالمنطقة. فأبى، لشغفه الكبير بالتعلم وحبه الشديد للمعرفة، إلا أن يتعلم، فكان يترك مكان العمل ويدخل مجالس قراءة القرآن والحديث الشريف، وعلوم اللغة العربية وآدابها. وواضب على ذلك، رغم شدة أبيه عليه وتخويفه وترهيبه إياه، حتى كاد أن يتلفه. غير أن ذلك لم يجدي معه نفعاً، فتركه لقصده[1].

وقد أبدى "ابن العريف" في هذه المرحلة اهتماما منقطع النظير في طلب العلم وثابر على ذلك، فقرأ القرآن على شيوخ ألميرية وقرطبة وسمع الحديث عن محدثيها، حَصَّلَ علم القراءات، وبرع في إجادة الخط، كما أنه استجيز من طرف علماء كبار مثل "ابن باشكوال"في عدد من مؤلفاته[2].

ولم تذهب مجهودات "ابن العريف"في طلب العلم سُدى، بل جعل اسمه يلمع في جل حواضر الأندلس الإسلامية، حيث أصبح فقيها وراويا مجرحاً ومُجَوِّداً بارعاً[3] وشاعراً ناثراً رقيقا، وصاحب خط متنوع وبديع، وهذا مما جعل القائمين بالأمر يولونه الحسبة بمدينة "بلنسية"، والقيام بإقراء الصبيان وتعليمهم بمسجدها[4]. وهو إن لم يكن مبتهجاً بتعليمه للصبيان[5]، فإنه كان يقوم بالحسبة عن قناعة ولأسباب[6] أهمها: ترويض النفس على خدمة الناس واختبار قدرتها على عدم الاغترار بالسلطة، والاطلاع على حقيقة تصرف الحكام فيما عُرض عليهم من أمانة.

(1) أنظر وفيات الأعيان. ج1 ترجمة 68 ص168.

(2) ابن باشكوال ترجمة رقم 176 ص83.

(3) ابن باشكوال ترجمة رقم 176 ص83.

(4) ابن الأبار "المعجم" ترجمة 14 ص18.

(5) يقول في الرسالة 4 إلى أبي الحسن بن غالب مفتاح السعادة ص115 - 116 : « سألتني عن وجه حالي في التعليم. وإني فيه لفي العذاب الأليم لكثرة ما يعتريني فيه من الوساوس (...) الصبيان لا يبذلون جهدا ولا يفقهون رشدا (...)، وإنما جلست لتعليمهم كتاب الله وقوله عليه السلام «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (الترمذي ج 4 ص53).

(6) وهي أربعة : «لأحط من نفسي فإني كنت عند الناس فوقها، والثاني لأجرب نفسي عند الأمر والنهي والحياة والمال، والثالث لينكشف لي ما عليه الحكام من إظهار الحق وإبطاله، والرابع لأقدم ذلك فيما عسى أن أمتحن به من أمر ولاية فأكون على بصيرة من الإقدام والإحجام». الرسالة رقم 5 ص121.

ج ـ بقي ابن العريف، ومنذ وعيه الفكري والصوفي، إلى نكبته، ملتزماً بأسس الأخلاق الإسلامية، مجاهداً في نفسه مطالبا إياها بالاستواء والاستقامة محاولة منه لإبعادها عن الفساد والاستبداد [1].

كان يؤثر عليه اهتمامه بأسرته وأقاربه وأصحابه، فكان محبا رحيما مآزراً ومشاركا لهم في السراء والضراء، مع المثابرة في إعالتهم.

فعن إلتزامه الأسري كأب وزوج وابن بار يقول في رسالة إلى "أبي بكر عياش" ينصح أصحابه بحسن معاملة الزَّوجة وتعليمها القرآن الكريم[2] وبلطف معاشرتها. كما كان ملازما لأسرته مرتبطاً بها لا يفارقها، وخصوصا صغارها، إلا عند الضرورة الملحة. وفي مثل ذلك يقول معتذرا عن السفر : « إن ورائي من العيال من لا وجه لفراقه، لما عندي من الشفقة عليهم وعندهم من العجز عن الصبر »[3].

كانت صلاته بأصحابه وأحبائه، قوية ومتينة رغم عدم قدرته مُباشرة السفر إليهم وزيارتهم وإحياء الرحم معهم[4]، وذلك عبر الرسائل والرسل. والسبب في ذلك هو العوز وقلة ما في اليد، فقد قضى آخر أيامه وهو لا يتقاضى إلا ذلك الأجر البسيط من إقراء الصبيان، الذي لا يكفي حاجيات عياله.

د ـ وفاته : توفي "ابن العريف" ليلة الجمعة صدر الليل ودفن يوم الجمعة 23 صفر من سنة 536هـ الموافق لشهر أكتوبر 1141م.

وحول نهاية "ابن العريف"، هناك من المصادر ما يرى أن عند نكبته حمل إلى مراكش وأقيمت له مناظرات، ثم سجن وعذب قبل أن يتم إطلاق صراحه، ثم تسميمه من طرف القاضي "ابن الأسود". وهناك ما يرى أنه لم تُقم له مناظرة، وأنه لم

---

(1) أُنظر مفتاح السعادة حيث يقول في إحدى مراسلاته إلى أحبائه : أنه منذ أربعين سنة «يطالب نفسه بالاستواء والاستقامة فما يزيدها طلبه إلا استبدادا، ولا يفيدها إلا علوا وفسادا» ص172.

(2) مفتاح السعادة ص115.

(3) مفتاح السعادة ص105.

(4) يقول في رسالة، مفتاح السعادة ص107 « لو فتح الله لمن ورائي في شيء من حطام الدنيا حتى يستغنوا به عني ... فلو اتفق لهم ذلك، لكنت أهون على النفس من السفر ... وكنت أبحث عن إخواني أذاكرهم شيئا من العلم ... فالحاجة الأولى هي حاجتي ... ».

يتعرض للسجن والتعذيب، فعندما وصل سبتة أرسل له السلطان الأمان والأمر بإطلاق صراحه[1].

لكن هناك من يرى، أنه سُمَّ بعد نزوله بسبتة وهو في طريقه إلى مراكش وحُمِلَ إليها ميتا ودفن بها[2].

ومهما يكن من الأمر فالثابث هو أن وفاته وقعت في هذا التاريخ بفعل عمل إجرامي، كما أنه من الثابث أن الناس احتفلت بجنازته، وأن السلطان "علي بن يوسف" ندم وغضب مما وقع به.

وقبر "ابن العريف" يزار إلى الآن، وقد ذكر المقري في نفح "الطيب" أنه زاره سنة 1010 هـ. كما أن قبره يتبرك به في تلك الديار ويستشفى به، كما أشار إلى ذلك العباس بن إبراهيم[4].

2 ـ أساتذته، تلامذته، آثاره.

أ ـ أساتذته :

بينا في لحظة سابقة أن "ابن العريف" كان من طلاب العلم المجدين، فأين ما حَلَّ وارتحل يطلب المعرفة من شيوخ وأساتذة الثقافة والعلوم، التي كانت سائدة في عصره، سواء في حاضرة "ألميرية" أو " مرسية" أو " قرطبة".

فقد حفظ القرآن الكريم وتلقى الحديث النبوي الشريف واعتنى بالقراءات[5] ومختلف العلوم والمعارف، وخاصة منها التصوف.

ومن أهم أساتذته الذين تلقى عنهم علومه ومعارفه بطريق مباشر وغير مباشر :

- " **أبو الحسن البرجي**"[6] : هو علي بن محمد بن عبد الله الجذامي، كان مقرئا مجودا ضابطاً ذاكراً للقراءات، كما أنه كان فقيها متفننا في العلوم الشرعية. عرف بصلاحه

(1) أنظر التادلي، التسوق ص120.
(2) باب التنبكتي : نيل الابتهاج ص58.
(3) المقرى، نفح الطيب ج4 ص331.
(4) الأعلام ج2 ترجمة ابن العريف.
(5) حيث يذكر أن ابن باشكوال في "الصلة" : « أنه سمع من جماعة من شيوخنا، وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلم، وعناية بالقراءات، وجمع الروايات، واهتمام بطرقها وجملتها...» القسم الثاني ترجمة 176، ص81، الدار المصرية للتأليف، 1966.
(6) البرجي من بَرجة وهي من عمل المرية، أُنظر "ابن عبد المالك المراكشي" كتاب "الذيل والتكملة" ص308، الترجمة رقم 604.

وطيبوبته، وكان له موقف من إحراق كتب الغزالي وعلى رأسها "إحياء علوم الدين" حيث أفتى بتأديب مُحرقها.

ويعتبر " ابن العريف" من أهم الذين رووا عنه[1]. توفي بألميرية سنة 509هـ.

- " **أبو محمد عبد القادر القروي** " : وهو عبد السلام بن مسافر القروي، كان كاتبا معتنيا بأخبار مشايخ العلماء وآثارهم، توفي سنة 480هـ.[2]

- " **أبو جعفر الخزرجي**" : وهو أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصاري الخزرجي، ينتسب إلى " سعد بن عبادة" صاحب النبي ﷺ، أصله من قرطبة، سكن غرناطة وبجاية، كما استوطن مدينة فاس، ولاَزَمَ مشايخ القرويين على هذه الفترة وروى عنهم خاصة الحديث، وتكلم في معانيه. امتحن بالأسر سنة 540 هـ ثم خلصه الله، توفي بفاس سنة 582 هـ.[3]

- " **أبو القاسم بن النحاس**" : اسمه الكامل : خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد بن الحصان، خطيب مُقريء ومجود كتاب الله، توفي سنة 511 هـ.[4]

- أضف إلى ذلك شيوخا آخرين " كأبي القاسم خلف بن محمد بن العربي "[5]، و" أبي القاسم بن بشكوال " الذي أجاز ابن العريف واستحاز منه، وقد ذكر ذلك في الصلة بقوله : « وقد استجزته من تأليفي هذا وكتبه عني، وكتبت إليه بإجازته مع سائر ما عندي، واستجزته أنا أيضا فيما عنده ...»[6].

- لكن يبقى أهم شيوخه في مجال التصوف وشرح القرآن هو " أبو الحكم بن برجان" المتوفى سنة 536هـ بمراكش، وقد ذهب مذهبه في التأكيد على أصحابه المريدين في رسائله بالإلتزام بالسنة «وتكلف ما يوافق السنة من الظن الجميل»[7] والابتعاد

(1) الذيل والتكملة نفس المعلومات.
(2) ابن بشكوال، كتاب الصلة، ق1، ترجمة 839، ص392.
(3) ابن فرحون : الديباج المذهب ... ص50.
(4) الضبي : بغية الملتمس ترجمة 718 ص279.
(5) انظر ترجمته : ابن بشكوال كتاب الصلة ترجمة 398 ص172.
(6) نفس المصدر السابق، ترجمة 176، ص83.
(7) للوقوف على ذلك الرجوع إلى : من رسائل ابن العريف إلى السيد المالفي بكتاب مفتاح السعادة، تحقيق. د. عصمت دندش ص180.

عن الباطنية والظاهرية لأن كليهما تنافر الحقيقة. وقد كانت بينه وبين شيخه اتصال وتواصل موصول ومستمر.[1]

و" ابن برجان" هذا، هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان اللخمي الإفريقي الإشبيلي[2]، ينحدر من أصول مغربية، كان أبرز رجال التصوف بالأندلس، في النصف الأول من القرن السادس الهجري ؛ إذ كان هو الإمام القطب لجماعة المريدين في جميع الأندلس، الساهر على إرشادهم وتسيير حشودهم والتنسيق بينهم. من أهم مؤلفاته : " شرح أسماء الله الحسنى"وتفسيره للقرآن المعنون بـ" تنبيه الأفهام إلى تَدَبُّر الكتاب الحكيم وتعرف الآيات والنبإ العظيم"[3].

ب ـ تلامذته :

كان ابن العريف من أهم وأكبر مفكري عصره بعد ابن برجان، وكان له إشعاع في كثير من العلوم مثل : الفقه والحديث، علم القراءات والتجويد، ناهيك عن رسوخ قدمه في التصوف. وقد ذكر مؤرخوا الفكر الأندلسي الكثير من الذين أخذوا عنه، واتبعوه في مذهبه العلمي عامة، والسلوكي الصوفي خاصة. ومن هؤلاء :

- " **ابن الأقليشي**" : هو أحمد بن محمد عيسى، يُدعى بأبي العباس توفي بصعيد مصر سنة 550 هـ.[4]

- " **إبراهيم ابن قَرْقول**" : وهو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن باديس الوهراني المتوفي بفاس سنة 569هـ.[5]

- " **أبو محمد عبد الغفور**" : وهو إسماعيل بن خلف، من صوفية غرب الأندلس، سكن " لبلة"، لازم ابن العريف زمنا طويلا، وقد بلغ في موطنه درجة المشيخة، لِمَا عرف عليه من الفضل والعلم والكرامات وإجابة الدعاء، إلا أنه كان مُعارَضاً

(1) انظر رسائل ابن العريف إلى أبي الحكم بن برجان، نفس المصدر ص108.
(2) أُنظر ترجمته الكاملة في " صلة الصلة" ذيل الصلة البشكوالية في تراجم أندلسية، " لابن الزبير"، أصدره " لفي بروفنصال" الرباط 1977 ص31-32، وكتاب " الأعلام" للعباس بن إبراهيم ج8.
(3) وقد قمنا بتحقيقه في جزأين عن دار الثقافة، البيضاء سنة 2011.
(4) ابن الآبار : التكملة، ج1، ترجمة 394، ص.
(5) ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة طبعة 1886 ج1 ترجمة رقم 394.

من طرف بعض المريدين الذين أنكروا عليه مشيخته، مما جعل شيخه ابن العريف يراسله ويشد أزره وينصحه بالصبر فيما يكابده[1]. توفي بعد أدائه فريضة الحج، وقد كانت رحلته إلى المشرق حوالي 540هـ.[2]

- " **ابن المدرة**" : هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الكتامي، صحب ابن العريف وأخذ عنه خاصة آراءه الصوفية، كان متأدبا في النحو، ومتحققا بعلوم اللسان بارعاً في الأدب.[3] مات في حدود سنة 530هـ.

- "**أحمد الأندرَسي**": هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري، يعرف بابن اليتيم وبالبلنسي، توفي سنة 581 هـ.[4]

- "**ابن خير**" : هو ابن خير الفاسي الإشبيلي ؛ أخذ عن ابن العريف علومه، واستفاد منه مواعظ ووصايا، كما أنه ذاكره في قضايا الصوفية واستفاد منه في ذلك.[5] ومن أهم مؤلفاته فهرسته الشهيرة.

- "**محمد بن وَلَّمْ**": هو أبو بكر محمد بن أبي بكر بن أبي الخليل التميمي، أخذ عن ابن العريف طريقته في التصوف وصَحِبَهُ زمنا طويلا، وروى عنه.[6]

- "**محمد بن نمارة الحجري**": هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عمران بن عبد الرحمان بن نمارة من أصحاب ابن العريف الذين امتحنوا بالسجن، توفي سنة 563هـ.[7]

- " **سعيد بن معاوية**" : هو أبو عثمان سعيد بن معاوية بن عبد الجبار بن عباس الأموي النحوي، تأثر كثيراً بشيخه " ابن العريف" وأخذ عنه خاصة علوم اللغة

---

(1) انظر ابن العريف " مفتاح السعادة"، رسالة ابن العريف إلى محمد عبد الغفور ص198 تحقيق د.عصمة دندش.

(2) ابن الزبير : " صلة الصلة "، تحقيق " لفي بروفانصال" الرباط 1957م ترجمة :52، ص37.

(3) ابن عبد المالك : " الذيل والتكملة"، ق1 من السفر 8، ترجمة 103، ص309.

(5) ابن خير الإشبيلي : الفهرسة ص460 : بيروت - بغداد 1963، والتادلي ص 118، ومفتاح السعادة ص 18.

(6) ابن الآبار نفس المصدر ج 2 ترجمة 1366.

(7) ابن الآبار نفس المصدر ج 2 ترجمة 1381.

العربية، والشعر، وهو من أهل إشبيلية عرف بها مُعَلِّماً للغة العربية والأشعار. توفي عن سن الأربع والستين، سنة 520هـ.(1)

- " **عتيق بن مؤمن**": هو أبو بكر عتيق بن عيسى بن أحمد بن عبد الله بن مؤمن، رافق شيخه ابن العريف طويلا وكان من خاصته، جَمَعَ مَا سَمِعَ عن شيخه من نَثْرٍ وَشِعْرٍ في مصنف وهو المعروف بـ " مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة". توفي سنة 548هـ.(2)

كما أن لابن العريف أتباع آخرين مباشرين وغير مباشرين بعدوة المغرب الذين اتبعوا خاصة طريقه الصوفي الذي تميز بالاعتدال والالتزام بالكتاب والسنة، والابتعاد عن التطرف العقدي والمذهبي، ومنهم :

- "**أبو عبد الله الغزال**": هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الغزال الشيخ الذي اتبع مسيرة شيخه " ابن العريف" بألميرية، واجتمع حوله عدد من الأتباع والمريدين في المنطقة. معلوماتنا حَوله شحيحة جدّاً، ويرجع الفضل لابن عربي الحاتمي فيما نعرفه عنه ؛ فقد قال عنه في كتابه " روح القدس"مبرزاً لقيمته العلمية في مجال التصوف، حينما جعله من نفس مستوى شخصيات صوفية رَفيعة إذ اعتبره : «من أقران أبي مدين وأبي الربيع الكفيف الذي كان بمصر. وعبد الرحيم الذي كان بِقِنَا، وَأبي النجا الذي كان بجزيرة الذهب رحمهم الله »(3).

كما أشار إليه في كتابه " الوصايا" معرفا بقيمته وبمنزلته الرفيعة بين كبار الصوفية المعاصرين له مثل : " الغوث أبي مدين"و" يلنور أبي يعزى"و" السارية أبي شعيب"و" اليسكيري أبي الفضل"وغيرهم.(4)

---

(1) ابن بشكوال نفس المصدر، ترجمة 487، ص217، وتاريخ وفاة سعيد جاء خطأ في هذا المصدر (إحدى وعشرين وأربعمائة).

(2) ابن عبد المالك نفس المصدر، سفر 5 قسم 1 ترجمة 242 ص126.

(3) ابن عربي : كتاب روح القدس ص99 نشرة أسين بلاثيوس.

(4) ابن عربي : الوصايا ص285.

- "**أبو الحسن بن غالب**" : هو «شيخ الصوفية في وقته، كما وصفه ابن الزبير[1]، وقال عنه ابن عبد المالك : « إن له في طريقة التصوف مصنفات لا نظير لها»[2]. ومن هذه الكتب : « الأيام والحجب » و«اليقين». وقد كانت له صلة وثيقة بالشيخ ابن العريف، وهذا ما تشير إليه الرسائل التي بعث بها هذا الأخير إليه والتي بلغت حوالي العشرين رسالة.[3]

- " **أبو الربيع المالقي**" : هو أبو الربيع سليمان مالقي الأصل، لازم ابن العريف واكتسب على يديه خيرات كثيرة، وَرَوَى عنه، كما كان شَيْخاً صالِحاً متخلقا وصاحب كرامات[4]. بعد نكبة شيخه هاجر إلى القاهرة، وأنشأ جماعة صوفية كان لها تأثيرها الواضح، لِشموخ ورفعة شيخها في ميدان السلوك والأخلاق الصوفية[5]".

<u>ج - آثاره :</u>

لقد خلف ابن العريف آثاراً لا بأس بها شعراً ونثراً، إلا أن أغلبها ضاع أو فقد في البحر عندما رُحِّلَ قسرا من الأندلس إلى المغرب، ولربما هو الذي ألقى بها في اليم حسب ما ذكر الذهبي[6].

ومن كتبه النثرية التي وصلتنا :

- كتاب "مقامات السادة الصوفية"، أو " محاسن المجالس" والذي نحن بصدد تحقيقه ودراسته.

- كتاب "مفتاح السعادة لأهل الإرادة في الطهور والكسوة للحضرة الرفيعة". وهو إلى الآن مخطوط يوجد بالخزانة الناصرية بتمجروت، تحت رقم 1687.

---

(1) ابن الزبير : الصلة، ترجمة 201 ص99.

(2) ابن عبد المالك : الذيل والتكملة س5 ق 1 ترجمة 415 ص209.

(3) ستجدون نماذج منها في الملحق.

(4) ابن الزبير : صلة الصلة، ترجمة رقم 185 ص92.

(5) أنظر ابن عبد المالك : الذيل والتكملة س4، ترجمة 325 ص 178.

(6) يرى شمس الدين الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء" ج20 الترجمة 68، ص113، ط3 - 1985م : إن ابن العريف عندما احتمل إلى مراكش استوحش فَغَرَّقَ في البحر جميع مؤلفاته، فلم يبق منها إلا ما كتب منها عنه.

- كتاب " مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة"، وهو الذي جمعه تلميذ ابن العريف : " أبو بكر عتيق بن مؤمن" (496هـ - 548هـ) وحققته الدكتورة عِصمت عبد اللطيف دندش بدار الغرب الإسلامي ط الأولى سنة 1993، بيروت لبنان.

وهذا المؤلف عبارة عن مجموع ما وقع بين يدي مريده وملازمه السالف الذكر، من أدعيات ومناجات ورسائل من ابن العريف إلى إخوانه وأصدقائه وأحبائه في الله ومريديه من شيوخ الصوفية وأجوبته على رسائلهم، وكذلك ما نظمه من قصائد شعرية ومقطعات وجدانية.

وسنرفق إن شاء الله بهذا العمل ملحقاً خاصا بنماذج من رسائله، وقصائد من أشعاره.

كما ذكر له "المقري التلمساني" كتابا بعنوان : "مطالع الأنوار ومنابع الأسرار". وهو مفقود إلى الآن[1].

(1) انظر كتاب " نفح الطيب"، ج7 ص497 تحقيق د.إحسان عباس دار صادر، بيروت 1968م.

الفصل الثانــي

الكتاب موضوع التحقيق :

محتواه، منهجية تأليفه، قيمته التاريخية والفكرية

أولاً : الكتاب موضوع التحقيق

ثانياً : محتوى الكتاب

ثالثاً : منهجية تأليفه.

رابعاً : قيمته التاريخية والفكرية.

أولاً : الكتاب موضوع التحقيق :

محتواه، منهجية تأليفه، قيمته التاريخية والفكرية

1 ـ الكتاب موضوع التحقيق.

كتاب " مقامات السادة الصوفية"، من مؤلفات " أبي العباس بن العريف" عرف تحت عنوان " محاسن المجالس".

غير أن جل الذين ترجموا له من الأقدمين لم يذكروا شيئا عن مؤلفاته، إذا استثنينا " ابن خلكان" في كتابه " وفيات الأعيان" الذي أشار بشكل عام وغير مستقص إلى أن له " كتب التصوف" دون الوقوف على عددها وعناوينها، اللهم ما أومأ إليه بـ"المجالس".

ومن المحتمل أن يكون سكوت مؤرخي الفكر وكتاب التراجم عن مؤلفات "ابن العريف"، راجع إلى خصوصية اهتماماتهم الفكرية والثقافية عامة، المتسمة بالمحافظة والتقليد، التي تدخل في دائرة ما هو شائع من العلوم والمتعارف بين الجمهور، المبارك من طرف السلطة. مثل كتب الحديث والفقه وأصول الفقه والتاريخ والأدب والشعر، في مقابل الكلام والفلسفة والتصوف.(1)

ومع ذلك فإننا نجد الكثير من مفكري الإسلام من المغاربة والمشارقة، الذين ذكروا الكتاب وأوردوا بعض أفكاره، ومنهم :

ـ " **محي الدين بن العربي**" (560هـ - 636هـ)، في كتابه الموسوعة " الفتوحات

---

(1) ارجع في ذلك إلى أهم الفهارس التي أرخت للمرحلة، مثل "ابن الأبار" في "المعجم"، "التادلي" في "التشوف"، و"ابن بشكوال" في "الصلة" و"الضبي" في "البغية"، و"ابن فرحون" في "الديباج".

المكية"، يُشير في عدة أماكن إلى كتاب "ابن العريف" "محاسن المجالس" ففي الباب الثالث من الجزء الأول ص92 و93 عند بحثه في مسألة : أن لا مناسبة بين الله تعالى وبين خلقه البتة، يستشهد بِقول "لابن العريف" في "محاسن المجالس"، مؤداه أن الله : « ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل، وما بقي فَعَمى وتبليس ».

وفي الباب الثاني والعشرين في معرفة علم منزل المنازل، الجزء الأول ص 175. عندما قارب مسألة أولوية الحق في الوجود قال : « إن أولوية الحق تَمُدُّ أولية العبد، (وأن) مما لا يدخل تحت حضرته ... فعمى وتبليس، هكذا صرح به صاحب "محاسن المجالس" ».

- **لسان الدين بن الخطيب** (713هـ - 776هـ) في كتابه " الإحاطة في أخبار غرناطة"، ذكر المؤلف بمناسبة ترجمته "لابن المرأة" [1]، الجزء الأول ص326، 327، عند تعديد إنتاجاته، ومنها : « شرح لمحاسن المجالس لأبي العباس [أحمد] بن العريف» [2].

- **أحمد بن محمد المقري التلمساني** (986هـ - 1041هـ) في كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، عند ترجمته "لابن ليون التجيبي" [3] "ذكر المحاسن" قائلا : « ولنذكر بعض أناشيده التي كان ينشدها أهل مجلسه ببلدة قصبة ألميرية أعادها الله تعالى، فمما أنشده رحمه الله تعالى " لأبي العباس أحمد بن العريف" صاحب " محاسن المجالس" مقطعة مطلعها [4] :

مَنْ لَمْ يُشَاوِر عالماً بِأُصُولِهِ   فَيَقِينُهُ في الْمُشْكِلاتِ ظُنُونُ

---

(1) " نفح الطيب"، ج 1، تحقيق د.إحسان عباس، بيروت 1978م ص597.

(2) ابن المرأة : هو ابن دهاق الأوسي إبراهيم بن يوسف بن محمد متكلم وصوفي من أصحاب الوحدة

(3) انظر ترجمته الكاملة بـ : التكملة ص 86 (باسم سعيد)، ونيل الانتهاج ص105، والإحاطة ص365. ونفح الطيب ج 5 من ص 543 إلى 603. وهو أبو عثمان سعد بن أبي جعفر أحمد بن ليون التجيبي، من أكابر أئمة الزهد والعلم والنهج.

(4) " نفح الطيب"، ج 5، ص596 - 597.

- كما نجد "**العباس بن إبراهيم**" في مؤلفه "الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام" الجزء الثاني، عند ترجمته "لابن العريف" يورد أهم المؤلفات التي تذكر "المحاسن". مثل :

- "كشف الطنون" "لحاجي خليفة" الذي جزم بنسبة الكتاب إليه.[1]

- "الفتوحات المكية" "لابن عربي"، الذي أورد فيه رأي ابن العريف في تنزيه الحق تعالى.[2]

- "نفح الطيب" عند إيراده لأحسن ما قيل في الليل من شعر "لابن العريف" في "محاسن المجالس" والذي مطلعه :

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لاَ كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى[3]

أما الذين اهتموا بالكتاب من المحدثين، فنجد الباحث المستشرق الإسباني "ميكائيل أسين بلاثيوس السرقسطي" (1870م - 1944م)[4] الذي نشر كتاب "محاسن المجالس" بمقدمة وترجمة للنص باللغة الفرنسية في باريس سنة 1933م. وهو يعتبر كذلك في حكم المخطوط لندرة نسخه.

---

(1)، (2)، (3)، الأعلام ص 16، 17.

(4) بلاثيوس باحث ومفكر إسباني اهتم بنصوص الفلسفة والتصوف الإسلاميين وخاصة نصوص : ابن عربي، الغزالي، ابن حزم، ابن العريف، ابن طملوس، والشهرستاني. أنظر مقدمة كتابنا الذي حققنا فيه المدخل لصناعة المنطق "لابن طملوس" ط 1 دار الثقافة 2006 الدار البيضاء.

ثـانـيـاً : محتوى الكتاب

1 ـ وضع الكتاب كما ورد في مقدمته لا لعامة الناس ولا لمطلق الهادين للطريق المستقيم، بل خُصِّصَ لأهل التذكير من الصوفية، أملا في أن «يسهل على المريد صعوبة الطريق، ويُشيد للمراد دعائم صدقه وتحقيقه، ويحمل سامعها على ارتكاب الأشد في تحري الأسَدِّ»[1].

وقد اعتمد ابن العريف في تأليف مادته على ثقافته الصوفية التي استقاها من المشايخ التاريخيين أصحاب الرسالة "كأبي يزيد البسطامي"و" الشبلي"و"ذي النون المصري". والمشايخ الغرب إسلاميين، الذين أشرنا إليهم سابقا، على رأسهم "ابن برجان"، دون أن ننسى تأثره العميق بالغزالي، خاصة بالمقامات التي نَظَّرَ لها في إحياء علوم الدين[2] وركز على مفهوم كل منها عند العامة وعند القوم (خاصة الخاصة). هذا بالإضافة إلى مجهوده الفكري والذوقي المتميز، وقدرته الكبيرة على التعبير شعراً ونثراً على أدق القضايا الصوفية، بأسلوب غاية في الوضوح والمُشْبع بالمحسنات البديعية : من سَجْعٍ وجناس وتصوير وضرب الأمثال، والاستناد إلى آيات الكتاب الكريم وأحاديث السنة المحمدية الشريفة، لتدعيم رأيه فيها سلبا أو إيجابا.

والفكرة المركزية التي يقوم عليها الكتاب وتأسس نظريته في التصوف، هي أن هذه المقامات والمنازل المدروسة تمثل عوائق للخواص، فهي لا تناسب إلا العوام. وهي مقامات تتفق حولها جل رجال التصوف، وقد أوردها حسب الترتيب

---

(1) محاسن المجالس، ص .

(2) أُنظر مثلا الجزء الرابع من إحياء علوم الدين، دار الفكر بيروت حول مقاربة الإمام الغزالي للمنازل والمقامات الصوفية، وقارن بينها وبين تناول ابن العريف لنفس الموضوع.

التالي : المعرفة، الإرادة، الزهد، التوكل، الصبر، الحزن، الخوف، الرجاء، الشكر، المحبة، الشوق. ويضيف إليها منزلين هما : التوبة والأنس، ويمارس عليها نقده مبينا نظر الخواص فيها.

ـ فالإرادة باعتبارها حلية العوام، هي تجريد قصد العبد إلى مولاه، وهي في نظر الخواص نقص وتفريق. وإذا كان الزهد عند العوام، قمع للنفس وحِرْمانها من التعلق بها ؛ فإن ذلك لا يكون إلا في الظاهر، بينما يبقى التعلق بها والتفكير فيها بالباطن، على أن الأولى والأجدر التفكر والتعلق بالباري تعالى.

ـ وبينما يكون الصبر عند العوام نوع من التصبير، وهو كتمان الشكوى في تحمل المصائب. وعند المريدين صبر يخفف ويسهل عليهم صعوبة الموارد. فإن ذلك عند الخواص نقص، لأن الاستسلام لقضاء الله، واعتبار أن كل ما يعطيه المليح مليح، هو عين الصبر وهو ما يطلق عليه الاصطبار.

ـ والتوكل عندما يكون وقوفا مع التوكل ورجوعاً إلى الأسباب، فهو توكل العوام، لأن الصوفية الخلص، يرون أن التوكل الحق يكمن في تخليص القلب عن علة التوكل.

ـ الحزن باعتباره ملازمة للكآبة، ونسيان لما مَنَّ به الله على العبد من خيرات، وأعظمها منح الوجود، هو في نظر الخواص حجاب. فبذكر الله والمجاهدة في معرفته يكون الجلاء من كل همٍّ وَغَمٍّ.

ـ الخوف عند غير الصوفية هو ملازمة الأسف والحذر من سطوة العقاب، ولهذا يعتبرونه من الحجب، لأن قرب العبد من الرب لا يكون إلا بعبادته لا على وحشة ونفور، بل على أنس به واطمئنان بذكره.

ـ الرجاء عند العوام تبريد لحرارة الخوف ودواء له، وهذا في حكم المحققين رعونه ووقوف مع الطبع. بينما الرجاء شكوى ومطالعة عوض، حين يكون المحقق مغمورا بإحسانه الحق محاطا بألطافه.

ـ الشكر عند العوام في حكم "ابن العريف" من أضعف منازل أهل الطريق، إنه حجابٌ وهَرَبٌ من رق المنة، بينما الشكر الحق أن لا يشهد في حال النعمة سوى المنعم.

ـ والمحبة باعتبارها أول أودية الفناء الصوفي، للعوام منها شرب وللخواص شرب، فمحبة العوام تلذذ وتَسَلِّي وهي عندهم أساس الإيمان.

بينما محبة القوم على اختلاف إشاراتهم في العبارة عنها، وجود تعظيم في القلب يمنع المحب من التعلق بالسوى سوى الله.

ـ الشوق في نظر "ابن العريف" من منازل العوام وهو يتجنب استعماله، لأنه مصطلح لَمْ ينطق به كتاب ولا سنة. فإذا كان الشوق عند غير الصوفية يكمن في تمني حضور غائب والحث في طلبه وعدم الصبر على فراقه، وهذا في حكم القوم عِلَّةٌ عظيمة وضعف في البصيرة، لأن الشوق إنما يكون إلى غائب. بينما مذهب الحقيقة يقوم على المشاهدة، لأن الأصل أن تعبد ربك كأنك تراه.

ومن الملاحظ أن هذه المقامات والمنازل المدروسة في المحاسن، وإن كان لا جديد فيها يستحق الإشارة فيما يخص مصطلحاتها ومعانيها الأصلية، كما عرفت مع "ذي النون المصري" مبدع هذا المبحث قبل ثلاثة قرون من هذا العصر[1]. فإن الجديد الذي يتميز به كتاب "محاسن المجالس" يتجلى في الفصل الأول "المعرفة" والفصل العاشر "المحبة" والفصل الثاني عشر والثالث عشر . فالقراءة المتأنية لهذه الفصول تبين أول الطريق الصوفي، لا من أجل المريدين السالكين السائرين على طريق التمكن، بل من أجل خاصة الخاصة. فالكتاب مخصص للعارفين الذين بلغوا مرتبة العرفان، والإدراك الباطني للحقيقة. فما عدا مَنزلتي "الحب" و"المعرفة" فإن كل المنازل : « عِلَلٌ أَنِفَ الخواصّ منها وأسباب انفصلو عنها ...»[2].

---

(1) يقول مثلاً في علامات المحب لله : هو متابعة حبيب الله محمد ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه. ويقول في التوبة : توبة العوام تكون من الذنوب، وتوبة الخواص تكون من الغفلة. أنظر : الرسالة القشيرية في التصوف دار الكتاب العربي بيروت (د.ت) ص 8، 9.

(2) محاسن المجالس، ص :

فهي لا تنفع الصوفية العارفين المحققين، بل تقف حاجزاً دون بلوغ هدفهم الأسمى : شُهود عين الحقيقة : « ... فالإرادة والتوبة والزهد والتوكل والصبر والحزن والخوف والرجاء والشكر والمحبة والشوق والأنس، منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة. فإذا شهدوا عين الحقيقة اضمحلت فيها أحوال السائرين»[1].

وفي آخر الكتاب ترد بعض المواعظ والتوجيهات التربوية الروحية، التي تساعد من يُحَصِّلُها على نيل غِنىً وفضلاً عظيمين من الله، متمثلة في أربعين كرامة :

عشرون في الدنيا : كذكر الله، وشكره، ومحبته، والتوكل عليه، وأن يجعل من الله نظيراً، وأنيساً. وأن يتحلى بغنى النفس، ورفع الهمة، وغنى القلب. وأن يهتدي بنور القلب، وسعة الصدر، وأن يحفظ هيبته. وتنمية المحبة في القلب، والتبرك ببركة كل شيء. تسخير الكائنات، التمكن من مقاليد الأرض، الوجاهة، إجابة الدعوة.

وعشرون في الآخرة : كأن يهون الله عليه سكرات الموت، ويثبته على الإيمان، وأن يثبت روحه وأمنه. الخلود في الجنة، تحية الملائكة له، الأمان من فتنة السؤال وضيق القبر. وإكرامه بإيناس روحه، والحشر في العز والكرامة، والأمان من هول القيامة. وأخذ الكتاب باليمين، وتيسير الحساب. ثقل الموازين بالحسنات، وُرُودُ الحَوْض، جَواز الصراط، نيل الشفاعة، الخلود في الجنة، لقاء رب العزة.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن ما قدم في هذه المواعظ من أفكار، لا يتناغم كليا وما نظر له "ابن العريف"، عند تحليله ونقده للمقامات الصوفية. ومن الأمثلة على ذلك : أن ما أكد عليه في الفصل الرابع المتعلق بالتوكل، والذي ينبغي فيه الإفلات من الحظوظ النفسية، يتعارض وما انتهت إليه الموعظة الرابعة في الكرامة الدنيوية، والتي تتخلص في : أن الله، يكون للعبد المنيب إليه، وكيلا يُدَبِّرُ أمره.

---

(1) محاسن المجالس، ص :

وهذا ما يدفعنا إلى الشك في أن تلك المواعظ والتوجيهات من إنشاء "ابن العريف" حقا. وما يقوي هذا الشك هو الاختلاف والتباين بين منهج وأسلوب وفكر المحاسن وبين ما ألحق به. ولربما أنها إضافة من ناسخ المخطوط.

ومما يدعم هذه الفرضية ويقوي هذا الشك، أنه لا توجد هذه المواعظ إلا في نسخة واحدة اعتمدها "أسين بلاثيوس" في نشرته للمحاسن بالفرنسية[1] من بين المخطوطات الأربع التي اشتغل عليها : وهي المخطوطة التي تحمل رقم 37 من فهرسة المواعظ، الموجودة في المكتبة البلدية بالأسكندرية. والذي قال بحق أنها تختلف عن المخطوطات الأخرى، وأنها كتبت من طرف ناسخٍ جاهل بأسس اللغة التقنية الصوفية وبأسلوب المحاسن. فأقحم حشدا من الأقوال الحكمية، والمواعظ الزهدية، والأبيات الشعرية، وسرد وقائع عاشها، ووصف حالات من الورع لبعض التقاة. دون أن تكون دقيقة أو متناسقة مع النص الأصلي للمحاسن، خالية من قوة الإقناع التي يتميز بها.[2]

كما أن المخطوطين اللذان اشتغلنا عليهما، كذلك لم نجد بهما تلك المواعظ والأشعار، إذ ينتهي المخطوط الخاص بمعهد الدراسات والثقافة الشرقية (جامعة طوكيو) بقصيدة مطلعها :

أَلاَ قُلْ لِمَنْ يَدَّعِي حُبَّنَا وَيَزْعَمُ أَنَّ الْهَوَى قَدْ عَلَقَ

وآخرها :

فحطوا حِبَالَ مَرَاسِيهِمْ وَغَطُّوا فَغَطَّاهُمْ وانطَبَقْ

أما المخطوطة الخاصة بجامعة الملك سعود فهي كذلك خالية من تلك المواعظ إلا أنها تنتهي بالقصيدة المذكورة، كما أنها هي الأخرى ملحقة بأدعيات معززة بآيات من الذكر الحكيم، وأشعار "لابن المعتز" ولغيره من الشعراء الوعاظ. (سنورد لها صورة بالمكان المخصص).

---

(1) ارجع إلى : IBN Al-ARIF : MAHASIN AL-MAJALIS; Texte Arabe, Traduction et commentaire par MIGUEL Asin Palacios. Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner 1933.

(2) أنظر ص 9.

ثـالـثـاً : منهجية تأليف الكتاب

انتهج "ابن العريف" في تأليفه لكتاب "المحاسن" طريقة تحليلية نقدية للمقامات التي يتّفق حولها صوفية الإسلام، كان هدفه الأساسي من وراء ذلك، تسهيل الطريق على السالك المريد حتى يبلغ المراد وهو المشاهدة. محاولا من خلالها تجريب مواهبه في التلقين والدعوة بالموعظة الحسنة إلى التحقق بنور الكشف الرباني.

وقد كان يُدَعِّمُ آراءه في كل مقام مقام بإيراده لأيات من القرآن الكريم ولأحاديث نبوية شريفة، محاولا تقريب فحواها بتفسيراته الإشارية حتى تتلاءم والموضوع قيد البحث.

ولم يدخر جهدا في تمثيل الأفكار التي كان يقاربها بحكايات وقصص لبعض الأنبياء والرسل عليهم السلام، تسلية للمتلقي وتحبيباً وترغيبا له وتثبيتا لفؤاده وحثه على بذل الجهد من أجل الفهم والتحصيل ؛ كموسى وعيسى وداود عليهم السلام. ولبعض مشايخ الصوفية كأبي يريد، وذي النون المصري، وأبي بكر الشابلي ورابعة العدوية.[1]

---

(1) وعن قيمة الحكاية في منهجه في الكتابة والتعليم ودورها في تقريب المراد إلى المريد ذكر "المواق" في كتاب "سنن المهتدين" ما نصه : «وحدثني شيخي المنتوري بسنده إلى "أحمد بن العريف". قال : كنت جالساً في مجلس أستاذي "أبي علي الصدفي" أقرأ عليه الحديث، فقرأ يوما الحديث ثم غلق الكتاب، وجعل يحكي حكايات الصالحين. فوقع في نفسي كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث رسول الله ﷺ ويحكي حكاية الصالحيم ؟!. قال : فما تمّ لي الخاطر، حتى نظر إلي الشيخ شزراً، وقال لي : يا محمد الحكايات جُنْدٌ من جنود الله يثبت بها قلوب العارفين من عباده. قال : فما بقي في جسدي شعرة إلا قطر منها العرق، فلما رآني دهشت قال لي : يا أحمد أين مصداق ذلك من كتاب الله تعالى ؟. قلت : الشيخ أعلم. قال : قوله تعالى : وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ (هود : 120)

أنظر الأعلام ج 2، ص 23.

وكثيراً ما كان يوضح ويدعم ويركز ما توصل إليه من الأفكار الناشئة عن خوضه في حقيقة مقام من المقامات، بأبيات شعرية ؛ إما من إنشائه أو من إنشاء غيره من الشعراء السابقين أو المعاصرين له.

ومن مميزات منهجه في تأليف "المحاسن" هو طريقة تعبيره التي تنم عن قدرته العالية على الاستفادة والإفادة، وذلك لإتقانه الجيد لعلوم اللغة والاشتقاق والنحو والصرف، ومعرفة واسعة بالأدب والشعر وعلوم القرآن والحديث، وعلوم البلاغة العربية، ناهيك عن تضلعه في علوم القوم وعمق رؤيته الصوفية.

وقد تمثل ذلك في أسلوبه الأدبي الشعري النثري، الذي في غاية الوضوح والجمال، والذي مكنه من التعبير على أشق المعاني الصوفية، في سلاسة ووضوح. موظفا لحشد كبير من المصطلحات الصوفية بشكل ملائم ومحدد. مثل : الحال، والهمة، والإرادة، والباطن، والظاهر، والهيبة، والرعونة، الفناء، التحقيق، والذوق والشرب، والحيرة، والحق في مقابل الخلق، والهمة، وعين الحقيقة، والكرامة ... وغيرها من المفاهيم التي يتداولها الصوفية سنيون معتدلون أو مغالون. ووعيا منه بأن التعبير الوافي والصادق عن معنى التصوف لا يدركها إلا الشعراء الأخيار.[1]

(1) على حد تعبير ابن سبعين، الذي قال معللا صعوبة أسلوبه فيما كتبه ومعتذراً لمن يطلب منه مزيد من البيان : « ولا تطلب مني مزيد بيان لأن المجال ضيق والتكلم بالألفاظ على أمر هو من الأمور التي ليست من جنس ما يكتب، وهو من الغرابة بحيث لا يفهمه إلا الشعراء الأخيار ».
(أُنظر الرسالة الرضوانية، ص 228، تحقيق د.ع. بدوي - القاهرة 1972)

رابعاً : قيمة الكتاب التاريخية والفكرية

لكتاب "محاسن المجالس" مزايا وقيمة ذات وجوه متعددة، فمن ناحية وجدناه يضم عددا من المعلومات والآراء والأفكار الصوفيةالمستخلصة من مناقشته لمقامات الصوفية ونقدها وتركيبه لنتائج جديدة مبتكرة بشأنها. ومن ناحية أخرى أن الكتاب اكتسب شهرة وشيوعاً في الأوساط الصوفية في عصره والعصور التي تلت وفاته.

ويمكن أن نُجْمِلَ وجوه قيمة الكتاب فيما يلي :

1 ـ قيمة معرفية : إن ما ضمنه "ابن العريف" من نصوص وآراء وشروحات ومقطعات شعرية ليبين بكل وضوح لاتجاهه الفكري الفقهي والوجداني الصوفي، ومكانته العلمية وريادته في المجال الروحي في زمان ومكان كان يعج بأقطاب التصوف، سواء في غرب أو شرق الأندلس أو بالعدوة المغربية. كما يكشف عن جانب هام من شخصيته الفكرية والعلمية ذات الأبعاد الثقافية المختلفة، التي تميزت بالاعتدال والموازنة بين المواقف والاتجاهات المتناقضة : من باطنية وظاهرية، ومذاهب التقليد والقياس (المذمومين)، والنزاعات العقلية (المتطرفة).

كما تتجلى قيمة الكتاب المعرفية في جانب آخر ألا وهو طريقته البيداغوجية في إيصال وترسيخ الأفكار والمعلومات، لدى المتلقين من مريديه. والتي تتبع منهجاً تصاعديا : من طرح القضية وتوضيحها وتبيان مواطن الضعف والنقص فيها، إلى الإتيان بنقيضها، ثم مقارنتها ومماثلتها بغيرها، ليوصل مستمعيه إلى ما يعتقده حقا فيها. ثم يدعمها بأدلة نصية وأخرى عقلية، وبمواقف وتجارب وجدانية وذوقية.

2 ـ قيمة نقدية : إن ما يميز كتاب "المحاسن" هو الطابع النقدي ذو الملامح الحكمية "الثيوصوفية "[1] الذي انتهجه "ابن العريف" عند تفحصه للمقامات الصوفية ؛ من تحليل ومناقشة ومقارنة ومماثلة وبرهنه ونقد ودحض.

فهو مثلا : يُجَرِّحُ في زهد العوام الذي لا يخرج عن دائرة التمركز حول رغبات الذات ويدحضه، ليثبت مقابله زهد الخواص، المرتبط بالتفكير في رب الذات كنهها وباريها.

ويتفحص محبة العوام القائمة على مطالعة المنة، مقابل محبة الخواص التي لا تتحقق إلا بالحيرة الصوفية إثر إدراك التجلي الإلاهي.

كما أنه ينتقد، ثم يدحض، مقام الشوق ويعتبره علة كبيرة مخالفة للشرع كما يعانيها العامة، لأن المطلب الصوفي الحق هو المشاهدة.

وسيبلغ هذا النقد ذروته في كتابه "مفتاح السعادة"، في رسائله وخاصة نقده لفقهاء عصره ولقضاة ومفتين من زمانه، المغترين بمظاهر الأمور، المتشبثين بها. وكذلك نقده لوسائل المعرفة من حِسٍّ وعقلٍ، التي اعتمدها علماء الظاهر.

3 ـ قيمة تارخية : مؤلف "محاسن المجالس" ظل تأثيره وأثره حاضرين لزمن ليس بالقصير على المدارس والأوساط الصوفية بالمغرب والأندلس خاصة، وعلى غيرها من الأوساط عامة.فبالإضافة إلى أثره المباشر على رواد كبار من أمثال "أبي الحسن بن غالب"، و"أبي عبد الله الغزال"، و"أبي إسحاق البلفيقي" و"أبي عبد الله بن المجاهد" وغيرهم. كان له أثر عظيم على أجيال أخرى من أئمة الفكر الصوفي ومنهم :

---

(1) الثيوصوفية Thaosophie : الحكمة الإلاهية : وهو تحليل يعتمد عمق النظرة في التحليل واعتماده المصطلح الصوفي المتميز واستمداده المعرفة من الله مباشرة وأخذ العلم منه بدون واسطة مصداقا لقوله تعالى : ﴿ ... عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ (الكهف : 65) والمصطلح استعمل في الأصل في العصر الحديث للدلالة على نظرية بعض الفلاسفة الإشراقيين الذين يعتقدون أنهم يتواصلون مع ربهم مباشرة ويتلقون منه الحكمة والقدرات الخارقة.

(Arman Cuvilier N.V Philosophique P186 - 187)

- "**محي الدين بن العربي**" الذي اعتمد مؤلف المحاسن واستدل بفقرات منه لتدعيم وتبرير قضايا هامة في نسقه الصوفي في الوجود والمعرفة والقيم الأخلاقية.[1]

- و"**ابن سبعين**" الذي، في إحدى رسائله، أشار لابن العريف ورأيه في المعرفة الصوفية، ورأي أهل التحقيق فيها كما تضمنها كتابه محاسن المجالس، مدعما لمبحثي المعرفة والوجود عنده. فإذا كان الوجود في مذهبه هو الحق المطلق الذي لا فرق فيه بين الحق والخلق، فإن معرفته لا تتم إلا بالإحاطة التامة، معرفة المحققين، لا معرفة العامة[2]. كما أشار إلى المحاسن بمناسبة ذكره لمؤلفاته.[3]

---

(1) كقوله في الفتوحات ج 1 الباب الثالث في تنزيه الحق تعالى : « ... كما قال "أبو العباس ابن العريف الصنهاجي" في "محاسن المجالس ... ليس بينه وبين العباد نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم ولا وقت غير الأزل ..." وقوله في الباب الثاني والعشرين : « ... إن أولية الحق تمد أولية العبد وليس لأولية الكون امتداد لشيء ... هكذا صرح به صاحب "محاسن المجالس" ... ». وقوله في ج 2 الباب الثامن والسبعون والمائة، في معرفة مقام المحبة والذي يستشهد فيه ببيت شعري لابن العريف من "محاسنه" عندما بين بأن : « الحب مقام إلاهي (...)

وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن " أبي العباس بن العريف الصنهاجي" قالوا : سمعناه يقول وقد سأل عن المحبة فقال : الغيرة من صفات المحبة، والغيرة تأبى إلا الستر فلا تحد ».

(2) يقول : « فإن تأنست، وإلا فاعلم أن أمرك من فوق التصرف والعلم الثاني والثالث الذي لا حاجة للمقامات فيه ولا مدخل، ويجد عند الخواص نعم وعن الأسماء الحسنى. فإن المقامات لا تصح مع جميع الموجودات في وحدة محضة ؛ ولذلك الخواص لا تفرض في معنى فينعكس قبل فرضه، ويتنوع من صفة نفسه من حيث يثبت، والمعلوم من كل الجهات لا اسم له يميزه عن غيره فإن ذلك ممنوع.

فقل لا حاجة لي بالصورة، ولا منفعة في التوحيد، ولا خير في الفيض، ولا سعادة في الحلول، ولا فائدة في الاتحاد، ولا شوق في مقام، (...) فإن الحق قبل ذلك كله، بعد ذلك كله، عند ذلك كله، عند آخر ذلك كله. وسلم على "ابن العريف" وعرفه لا بتعريفه وخطه على عريفه ونكرة معرفته وكفر معروفه وسرى معروفه وسد معرفه. ثم انظر إلى الإحاطة، وتأمل ما فيها وحرر القول فيها (...) وبالجملة افرض أن المطلوب هو الواحد(...) لا الذي ذُكر فيما بعد الطبيعة، بل الذي ذكرته الصوفية، بل الذي وجدته في أذواقها ...» (عبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي، رسالة الإحاطة، تحقيق ونشر د.عبد الرحمان بدوي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد 1958، ص15-16.

(3) حيث يقول في كتابه بُدُّ العارف بمناسبة تصنيفه الصوفية إلى فئات : « ... والقسم الأول من القسم الأول من التصوف، هو الذي أدركه رجال الرسالة (القشيرية) وإليه أشار ابن العريف في "محاسنه" ومفتاح الحق (ولعله مفتاح السعادة). وهو مركب من طريق وسلوك ووصول وفناء عن الوصول ...» ص128، تحقيق جورج كثورة، دار الأندلس ط 1 - 1978.

- **وأبي الحسن الشستري** الذي استند إلى كثير من أفكاره الواردة بالمحاسن وخاصة في الحب الإلهي والمعرفة الباطنية، وأنشد على منوال قصائده ومقطعاته.[1]

وكذلك **ابن عباد الرندي**[2] آخر ممثل للمدرسة الشاذلية بالغرب الإسلامي، الذي تلقى أثر "ابن العريف" وخاصة أثر مؤلفه "محاسن المجالس" عبر "أبي الحسن الشاذلي" و "ابن عطاء الله الإسكندري"، وبالأخص نظرية "ابن العريف" القائمة على الزهد في المقامات والمنازل الصوفية والكرامات، وما إليها من المنن الربانية التي يتعلق بها العوام دون الخواص.[3]

ولهذا يمكن اعتبار مذهبه الصوفي ورسائله هي استخلاص لأثر " ابن العريف" منها.[4]

---

(1) انظر ديوان الششتري تحقيق د،محمد العدلوني الإدريسي وسعيد أبو الفيوض ط 1 دار الثقافة الدار البيضاء 2008م.

وهذه نماذج من نظم الششتري المعبرة عما أشرنا إليه.

ارفض الخلق وارقا	**وانتَفِ عن ظلالك**
واسبق الكون عشقا	**ثم غِبْ عن ظلالك**
وَافْنَ في الحب سبقا	**فالمراد في زَوالك**

(الفناء الصوفي، من زجل لهجته أندلسية متفصحة)

عند نور إلهامي	**لاح الحق ليا**
ودنوت من بدري	**من عرفت ليا**
بمقامي في التوحيد	**نستوي سويا**

(التوحيد الصوفي، قارن مع التوحيد عند ابن العريف في محاسن المجالس. والمقطعة من زجل لهجته أندلسية متفصحة الديوان ص 342)

مَنْ لُو محبوب يرى غجابْ	**صفات الحق خالص هَوَاهْ**
مَنْ يَهِمْ فيه سواه	**إلا صوفي خالص في هواه**

(الحب عند الخواص من الصوفية، قارن ذلك مع الحب الإلاهي في شعر ابن العريف بالمحاسن).

(2) هو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد مالك بن بكر بن عباد النفري (733هـ - 791هـ) من أهم مؤلفاته "شرح الحكم" لابن عطاء الله السكندري، والرسائل الصوفية.

(3) أنظر حول هذا الموضوع : مقدمة محاسن المجالس بالفرنسية لأسين بلاثيوس. وكذلك كتاب تاريخ الفكر الأندلسي تأليف أنخيل بلانثيا، ترجمة حسين مؤنس طبعة 1955 ص 329 وما بعدها.

(4) أنظر مجلة الشرق، بول نويا Paul Nwyia و Al Machriq

XLe année Fas2 Mars - Avril P.129

الفصل الثالث :

النسخ الخطية ومنهج التحقيق

أولا : وصف النسخ الخطية

ثانيا : منهج التحقيق

أولا : وصف النسخ الخطية

لمخطوطه « محاسن المجالس » أو مقامقات السادة الصوفية» ، عدة نسخ في المكتبات العامة عبر العالم.

منها الموجودة بمكتبة الأسكوريال، الحاملة للرقم 732 مكتوب بخط مغربي بتاريخ 750 هـ / 1349 م. من الورقة 42 إلى الورقة 54.

والموجودة بمكتبة برلين الوطنية الحامل للرقم 872، مكتوبة بخط مشرقي بتاريخ 859 هـ /1454 م، من الورقة 148 هـ إلى الورقة 173، وهي في الأصل ملك للمسجد الأعظم بالأزهر، مصر.

والموجودة بالمكتبة البلدية بالاسكندرية، مصر. الحاملة للرقم 37 من فهرسة المواعظ، من الورقة 826.

وكذلك المخطوطة الكائنة بالمكتبة البلدية بالاسكندرية رقمها 173، 3876 من فهرسة الفنون.

أضف إلى ذلك مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم 369 ج مؤرخة سنة 881 هـ من نسخ محمد بن علي بن يحي المغراوي.

ومخطوطه جامعة الملك سعود، بدون تاريخ نسخ، رقمها 710 م ع .

ومخطوطه معهد الدراسات الثقافية الشرقية بجامعة طوكيو تحت رقم txt 1665.

وقد اعتمدنا من هذه المخطوطات في إخراج نشرتنا، مخطوطتين :

الأولى مخطوطة معهد الثقافة والدراسات الشرقية الذي تحمل رقم 300 بالغلاف الخارجي، تحت رقم ترتيبي عام : txt 1665 من مجموع $fol.1-20r$ تتكون من 37 صفحة ، مقياسها 13,50/17,50، تتكون كل صفحة من 12 سطرا في المتوسط،

ويتكون كل سطر من 9 كلمات. وهي في حالة جيدة كتبت بخط مشرقي لا بأس به من حيث جماليته، بلون واحد، ولعله مداد الصمغ البني. تبتدئ فيه الفصول بسطر فوق كلمة "فصل" وتحتها.

حواشيها خالية من أي إضافة أو تعليق أو شرح، وهي من نسخ « محمد سعيد عوض» بتاريخ جمادى الأولى سنة 1250 هـ وهي نسخة حديثة جدا. وقد رمزنا لها بـ : ب

في الصفحة الأولى كتب :

محمد سعيد عوض

كتاب في بيان مقامات السادة الصوفية

لابن العريف الصنهاجي قدس سره

ونفعنا الله به في الدارين آمين

في الصفحة الأخيرة كتب :

وتم وكمل والحمد لله رب العالمين على يد الفقير إلى الله محمد سعيد بن حسين عوض عدده 22 جمادى الأولى سنة 1250 من هجرة النبي المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأهل بيته وعترته الطيبين الطاهرين، ونفعنا ببركاتهم وبركات المؤلف آمين.

والثانية مخطوطة في ملك جامعة الملك سعود تحت رقم 710 م ع. 3504. عدد أوراقها 33 ق. 3 ق، مقياسها 10x16. نسخة حسنة، خطها نسخ، بأثنائها نقص، كما أن بها أثار بقع وأوراقها منفرطة، تليها أدعية وأشعار في 3 ق، يغيب فيها تاريخ النسخ واسم الناسخ. وتقديرا يمكن القول أنها كتبت في القرن الثاني عشر الهجري.

في الورقة الثالثة كتب :

كتاب محاسن

المجالس لابن العريف عفى الله عنه

وفي آخر ورقة : مقطعات شعرية لابن المعتز ولغيره تنتهي بالبيت الشعري التالي :

وَلا كـان إذا أعملتــهـا بُنيـــت   مع اسمها نحو قل لا خير في الكسل

تبلغ عدد صفحاتها واحد وأربعون، كل صفحة تتكون من إحدى عشر سطرا، يتكون كل سطر من خمس كلمات في المتوسط. كتبت بخط مشرقي واضح نسخي جميل . رمز لها بـ : م.

ثانيا : منهج التحقيق

أول ما قمنا به في عنايتنا بنص « مقامات السادة الصوفية » المشهور بـ : « محاسن المجالس »، من أجل التقديم له وتحليل مادته ودراسة قضاياه وتحقيقه، هو القراءة المتانية المتفحصة للنسخ المخطوطة التي توفرت لدينا. والمقارنة بينها، والوقوف على الأقوال والنصوص الواردة بها والتحقق من صحتها ونسبتها والرجوع بها إلى مضانِّها.

وحتى نقدم نصا قريبا من النص الأصلي كان أمامنا نهجان :

الأول : أن نعتمد أوضح المخطوطات وأقلها أخطاء ونجعلها هي الأساس، وأن نشير إلى الاختلافات في الهوامش، كما هو معهود عند أغلب المحققين، المستشرقين منهم خاصة. مما سيجعل من النص المحقق نصا تشوبه بعض الأخطاء، وأن القراءة الصحيحة له تكون في بعض الأحيان في الهامش.

الثاني : أن نقدم نصا أقرب إلى الأصل اعتمادا على المخطوطات المعتمدة، ونضع القراءات المختلفة في الهوامش. فيحتوي النص المحقق والهوامش مجموع المخطوطات المعتمدة.

وهذا النهج الأخير هو الذي أعتمدنا، لأنه سيجعل أمام القارئ النص الذي نعتقد أنه أقرب إلى الصحة في صلب الكتاب، وفي الهوامش القراءات الأخرى التي نعتقد أنها أقل ملاءمة في تقويم النص.

كما جعلنا نشرة بلاثيوس «للمحاسن»، نصا مساعدا استأنسنا به رغم الأخطاء التي تخللته، وبعض الفراغات التي ملأناها اعتمادا على مخطوطينا.

بعد ذلك قمنا بتخريج الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة. واستخرجنا أسماء الأعلام الواردة في المتن، وعرفنا بأغلبهم. كما قمنا بتبيان المصطلحات الصوفية والفلسفية والصوفية الفلسفية وشرحها، اعتمادا على المعاجم والقواميس المختصة. وقد ذيلنا تحقيقنا هذا بالفهارس التالية :

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

وفي الختام نتوجه بالشكر إلى كل الذين ساعدونا على إنجاز هذا العمل وإخراجه، ونذكر منهم على الخصوص :

م. عبد الوافي بن م. محمد العدلوني الفاطمي.

م. عبد السلام بن م. الوالي العدلوني الباهي

س. محمد بن إبراهيم بن ادريوش الماجدي .

م. أحمد بن م. الحسن العدلوني الرجائي.

م. علي بن عبد الإله أعراب الوافي.

الآنسة سلمى بنت محمد بشار العدلوني الزينبي.

الآنسة أميمية بنت م. إدريس العلوي الفائزي.

الأنسة فاطمة بنت الحسن العدلوني الرجائي.

م. أيمن بن م. عبد الباقي العدلوني السنائي

البيضاء في 15 شتنبر 2014

أ. د. محمد العدلوني الإدريسي

أستاذ الفلسفة والتصوف الإسلاميين

القسم الثاني

أولا : النص المحقق : كتاب محاسن المجالس أو بيان في مقامات السادة الصوفية

ثانيا : صور المخطوطات المعتمدة

ثالثا : ملحقات

أولا : النص المحقق :

كتاب محاسن المجالس

أو

بيان في مقامات السادة الصوفية لابن العريف الصنهاجي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.[1]

قال الأستاذ العلامة **أبو العباس أحمد بن محمد الصوفي الصنهاجي**[2] رضي الله عنه[3] : قد[4] استخرت الله تعالى في جمع فصول من محاسن الكلام الصادرة عن أهل الإلهام تسهل على المريد صعوبة طريقه، وتُشَيِّدُ للمراد دعائم صدقه وتحقيقه، وتحمل سامعها على ارتكاب الأشد في تحري الأسد[5]. فمنها ما نقلته عن معانيه، ومنها ما فتح الله به من خزائنه.

وسميتها « بمحاسن المجالس » ، يتجلى بها من وَسَمَ نفسه بعلم التذكير، ويطرز مجالسه منها بالقدر اليسير. فهي شبكة الألباب وملاطفة الأحباب، وتحف القلوب من خزائن الغيوب. نفع الله بها مستمعها وقارئها والمحبين فيها، بفضله ورحمته وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعترته[6].

---

(1) في « ب » : و « صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»، ناقصة.

(2) في « ب » : أحمد بن محمد الصوفي.

(3) في « س » : رحمه الله.

(4) في « م » : ناقصة.

(5) في « س» : الأشد، وفي م : في تحري الأسد : ناقصة.

(6) في « ب » : الفقرة من : « قد استخرت الله...» إلى « ...سيدنا محمد وآله وعترته» ناقصة.
وفي م : الفقرة من : « ما نقلته عن معادنه » إلى : « وآله وعترته » ناقصة.

الفصل الأول : المعرفة محجتي والعلم حجتي

فصل المعرفة محجتي والعلم حجتي، فالعلماء لي والعارفون بي، والعارف يستدل بي والعالم يستدل لي[1]. علق العباد بالأعمال والمريدون بالأحوال والعارفون بالهمم، والحق وراء ذلك كله ليس بينه وبين العباد نسبة[2] إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت إلا[3] الأزل، ومابقي فعمى وتبليس. فالأعمال للجزاء، **والأحوال**[4] **للكرامات**[5] **والهمم**[6] للوصول، وإنما يتعين الحق عند اضمحلال الرسم[7].

---

(1) في « س » : ....فالعالم يستدل إلى والعارف يستدل بي، فالعلماء لي والعارفون بي.

(2) في « س » : نسب.

(3) في « ب » : غير.

(4) الأحوال : ج حال : وهو ما يرد على القلب من طرف أو حزن أو قبض أو بسط ... من غير تصنع، ويسمى الحال أيضا بالوارد، ولهذا يقال أن الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه. ومن شرط الحال كما يرى «ابن عربي» : أن يزول ويعقبه الميل وأن يصفو، ولا يعقبه الميل. ومن هنا نشأ الخلاف، فمن أعقبه الميل قال بدوامه، ومن لم يعقبه الميل قال بعدم دوامه. (اصطلاحات ابن عربي ص 55)

(5) الكرامات : ج كرامة : فالكرامات للأولياء، والمعجزات للأنبياء والفرق بين الكرامةوالمعجزة، أن الأولى تصدر عن قوة همة العبد وعلى علم منه، على حين أن المعجزة لا نصيب لهمة النبي فيها. و الفرق بين الكرامة والسحر: أن الأولى حقيقة وجودية، أما السحر ليس له حقيقة وجودية (انظر المعجم الصوفي. د . سعاد الحكيم، 9633 وما بعدها.

(6) الهمم : ج : همة. يميز الصوفية عادة بين همة الأفاقة (طلب الباقي) وهمة الأنفة (الأنفة من طلب الأجر) وهمة أرباب الهمم العالية، وهي المراد هنا، وهي التي لا تتعلق إلا بالحق لا بغيره، فهي لا ترضى بالاحوال والمقامات ولا بالوقوف مع الأسماء والصفات، ولا يقصد إلا عين الذات. (انظر: الكاشاني معجم المصطلحات الصوفية) وفي م : من بداية الفصل الأول إلي والهمم للموصول : ناقصة.

(7) في « ب » : الرسوم .

فالإشارة نداء على رأس العبد[1]، وبوح بعين العلة، والعلم عن القلوم كالأسباب على الغيوب، وما سوى الحق حجاب عنه. ولولا ظلمة الكون لظهر نور الغيب، ولولا فتنة النفس لارتفعت الحجب، ولولا العلائق لانكشفت الحقائق، ولولا العلل لبرزت القدرة، ولولا حظ [2] التكلف لصفت المعرفة، ولولا الطمع لصَحَّتِ[3] المحبة، ولولا حظ باق لأحرق الاشتياق الأرواح، ولولا توهم[4] العبد لشوهد الرب. فإذا انكشف الحجاب تجسم هذه الأسباب وارتفعت العوائق بقطع العلائق حينئذ[5] كان كما قيل[6].

شعـــر[7]

بذلك سِرٌّ طال عنك اكتمامــــهُ	**ولاح صباح كنت أنت ظلامــــهُ**
فأنت حجاب القلب عن سر غيبــهُ	**ولولاك لم يطبـع عليـه ختـامــــهُ**
فإن غبت عنه حل فيه وطنّبــت	**على منكب الكشف المصون ختامهُ**
وجاء حديث لا يمل سماعـــــهُ	**شهـي إلينـا نثـره ونظـامـــــهُ**
إذا سمعتـه النفـس طاب نعيمـها	**وزال عن القلب المعنّا غرامـــه[8]**
ودارت علينــا خمـرة كوثريـــة	**فخما رنا خمـر الهـوى ومدامـــهُ[9]**

---

(1) في « م » : البعد

(2) في « س » : حظ : ناقصة.

(3) في « ب » و « س » :

(4) في « س » : توهم ناقصة.

(5) في « س» : ناقصة.

(6) في « ب » : ناقصة وفي م : كما قال القائل.

(7) « ب » و « م » : ناقصة

(8) (9) « س » و « م » : البيت (5) و (6) ناقصان.

الفصل الثاني : الإرادة حلية العوام

فصل الإرادة[1] حلية العوام وهي تجريد القصد إلى الله تعالى[2] وجزم[3] النية والجد في الطلب له[4]، وذلك في[5] طريق الخواص نقص وتفرق ورجوع إلى الأسباب[6] والنفس، فإن إرادة العبد عين حظه وهو رأس الدعوى، وإنما[7] الجمع والوجود[8] فيما يراد بالعبد من الله[9]، لا فيما يريد. قال تعالى[10] : ﴿ **وإن يردك بخير فلا راد لفضله**﴾[11] فيكون مراده ما يراد به مما ورد الشرع بإرادته واختياره ما يختار له بالشرع[12] ؛ إذ لا اختيار للعبد مع سيده[13] ولا إرادة له[14]. مع إرادته فيما شرع[15] كما قيل :

أُرِيــدُ وِصَالَــهُ وَيُــرِيدُ هَجْــرِي فَاتْــرُكْ مَا أُرِيــدُ لِمَـا يُرِيــدُ

---

(1) الإرادة : وهي شرارة من نار المحبة في القلب تجعل السالك مستعدا لدواعي الحق، أو هي الإقبال بالكلية على الحق، والإعراض عن الخلق، وهي ابتداء المحبة. ويعرفها ابن عربي أنها : لوعة في القلب ويراد بها عند القوم : إرادة التمني وهي منية، وإرادة الطبع ومتعلقها الحظ النفسي، وإرادة الحق سبحانه ومتعلقها الإخلاص. (انظر معجم المصطلحات ص 53)

(2) في « ب » و « م » : إلى الله تعالى ناقصة.

(3) في « ب » : وعزم

(4) « ب » و « م » : ناقصة.

(5) « ب » و « م » : ناقصة.

(6) في « ب » : ورجوع إلى الأسباب، ناقصة.

(7) في « ب » :

(8) في « س » : الوجود، ناقصة.

(9) « ب » و « م » : من الله، ناقصة.

(10) « ب » و « م » : قال تعالى ناقصة.

(11) يونس : 107.

(12) « ب » و « م » : ناقصة

(13) في « س » : ربه

(14) في « ب » : ولا إرادة ولا حظ

(15) في « ب » و « م » : مع إرادته فيما شرع، ناقصة.

وحكي عن بعض المشايخ أنه قال : « أوقفني الحق بين يديه سبحانه ثم قال لي : أتريد التحف ؟ قلت لا. قال أفتريد الطرف[1] ؟ فقلت لا. قال أفتريد الغرف ؟ قلت لا. فما تريد ؟ قلت أريد أن لا أريد، فإن إرادتي لا تساوي شيئا، لأني جاهل من كل الوجوه وأنت يارب عالم بكل الوجوه. فاختر لي ما تعلم أن فيه الخيرة، ولا تجعل تدميري فيما فيه اختياري وتدبيري ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة**﴾[2]».

وحكي[3] عن أبي يزيد[4] رضي الله عنه أنه قال : « ركبت مركبة الصدق[5] حتى بلغت الهوى، ثم[6] ركبت مركب الشوق حتى بلغت السماء، ثم[7] ركبت مركب المحبة حتى بلغت سدرة المنتهى فنوديت : يا أبا يزيد ما تريد ؟ قلت أريد أن لا أريد لأني أنا المراد وأنت المريد.» فقيل الآن بلغت ما تريد[8].

فصحة الإرادة بذل الوسع واستفراغ الطاقة مع ترك الاختيار والسكون تحت[9] مجاري الأقدار. فتكون[10] كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء كما قيل :

أَبَى[11] القلب لا أم عمر[12] فأصبحت　　صفيته[13] إن زارها[14] أو تجنُّبا

عدُوٌّ لمن عادت وسلم لسلمها　　ومن قربت لَيْلَى أحب وقَرَّبا

---

(1) في « ب » : الطرق وفي م : فتريد

(2) القصص : 28.

(3) في « س » و « م » : ناقصة.

(4) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي مات حوالي 261 هـ . أنظرعن أقواله وأخباره الرسالة القشيرية، ط دار الكتاب العربي ص 13، 14.

(5) الصدق : هو استواء السر والعلانية وذلك بالاستقامة مع الله تعالى ظاهرا وباطنا..

(6) (7) في « ب » :

(8) في « س » و « م » : فقيل الآن بلغت ما تريد، ناقصة

(9) في « س » و « م » : إلى.

(10) في « س » : فيكون.

(11) في « ب » : أبا.

(12) في « ب » : عمرو.

(13) في « ب » و « س » : صفية.

(14) في « ب » : أقدارها.

الفصل الثالث : وأما الزهد فإنه للعوام

فصل وأما الزهد[1] فإنه للعوام أيضا، فإنه حبس النفس عن الملذات[2] وإمساكها بعد تفريق المجموع وترك طلب المفقود[3]، وعن فضول الشهوات ومخالفة دواعي الهوى وترك ما لا يعني من كل الأشياء[4]. وهذا نقص في طريق الخواص، لأنه تعظيم للدنيا واحتباس على أبعادها[5]، وتعذيب للظاهر بتركها، مع تعلق الباطن بها، والمبالاة بالدنيا عين[6] الرجوع إلى ذاتك، وتضييع الوقت في منازعة نفسك وشهود حسك وبقائك معك على حرصك[7].

ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ ....**الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولافسادا** ﴾الآية[8] وإلى قوله لمن أعطاه الدنيا بحذافيرها : ﴿**هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب** ﴾[9] فعافى[10] باطنه من شهودها، وظاهره من

---

(1) الزهد : هو بغض الدنيا والإعراض عنها، ولا يبلغ أحد حقيقته حتى يجمع بين عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة. (الجرجاني ، الاصطلاحات)

(2) في « س » و « م » : الملذوذات.

(3) في « ب » و « م » : بعد تفريق المجموع وترك طلب المفقود : ناقصة.

(4) في « ب » و « م » : كل شيء.

(5) في « م » : انتقادها وفي « ب » : عند الانقياد لها.

(6) في « ب » : عن.

(7) في « ب » و« م » : على حرصك : ناقصة.

(8) القصص : 83، والآية ناقصة في ب ، م .

(9) ص : 39 .

(10) في « ب » و « م » : وذلك حيث عافا.

التعلق بها. فالزهد على الحقيقة [1] صرف[2] رغبة القلب[3] إليه وتعلق الهمة [4] به والاشتغال به عن كل شيء يشغل عنه[5]، ليتولى هو سبحانه حسم هذه الأسباب عنك وتكون معه كالطفل ابن شهر مع أمه لا إرادة له ولا حكم مع أمه[6]. كما قيل عن بعض **المريدين**[7] سأل بعض الشيوخ فقال : أيها الشيخ بأي شيء تدفع إبليس عنك[8] إذا قصدك[9] بالوسوسة ؟ فقال له[10] الشيخ : إني لا أعرف إبليس فأحتاج[11] إلى دفعه، وإنما[12] نحن صرفنا هممنا إليه[13] وملأنا قلوبنا[14] بذكره[15]، فكفانا ما دونه. وكما[16] قيل :

عَلِقْتُ بحبـل من حبـال محمـد   أَمِنْتُ به من طارق الحـدثان[17]

تَسَتَّرْتُ عن دهري بِظِلّ جناحه   فَعَيْني ترى دَهْرِي وليس يَراني

فلـو تسـأل الأيام ما إِسْمِـــي   وأين مكانـي ما عَرَفْتُ مكاني

---

(1) في « ب » و « ب » : الحقيقة ناقصة

(2) في ب : فاصرف، وفي م : صَرَفَ .

(3) في « ب » : الهمة، وفي م : الرغبة فيه.

(4) في « ب » : الباطن.

(5) في « س » و « م » : يشغل عنه ناقصة، وفي م : كل شيء سواه.

(6) الجملة من : وتكون معه.... ناقصة .

(7) المريدون : ج مريد : وهو من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار، وتجرد عن إرادته، وهو سالك الطريق بالمجاهدة الشاقة والمكابدة والصبر على البلاء رجاء الحصول على النعماء، (الحفني م م ص) وفي «م» : أن بعض المريدين.

(7) في « س » و« م » : عنك ناقصة.

(8) في « س » : أكمدك.

(9) في « ب » : ناقصة.

(10) في « س » : ناقصة.

(11) في « ب » : فكيف أحتاج.

(12) في « س » و « م » : ناقصة.

(13) في « س » : ناقصة.

(14) في « ب » و « م » : ناقصة

(15) في « بب » و « م » : ناقصة.

(16) في « س » : وفي معنى وفي « م » : كما.

(17) في « س » و « م » : البيت الأول ناقص.

الفصل الرابع : وأما التوكل فإنه للعوام

فصل وأما التوكل فإنه للعوام أيضا لأنه كلتك أمرك إلى مولاك والتجاؤك إلى علمه ورأفته ليدبر أمرك ويكفيك همك، وهذا في طريق الخواص نقص[1] وعمى عن الكفاية، ورجوع إلى الأسباب، لأنك رفضت الأسباب[2] ووقفت مع التوكل، فصار عوضا[3] عن تلك الأسباب، فكأنك معلق بما رفضته من حيث معتقدك الانفصال عنه.

والتوكل عند القوم هو التوكل في تخليص القلب عن علة التوكل، وهو أن يعلم أن الله تعالى لم يترك أمرا مهملا بل فرغ عن[4] الأشياء وقدرها، وإن اختلف منها شيء في المعقول أو تشوش[5] في المحسوس أو[6] اضطرب في المعهود فهو المدبر[7]، وشأنه سوق المقادير إلى المواقيت.

فالمتوكل من أراح نفسه عن كد النظر ومطالعة السبب، سكونا إلى ما سبق من القسمة مع استواء الحالين عنده وهو أن يعلم أن الطلب لا يجمع[8] **التوكل**[9] لا يمنع، إذ الله تعالى بالغ أمره[10].

(1) في « س » و « م » : ناقصة

(2) في « ب » : لأنك... ناقصة.

(3) في « ب » و « م » : بدلاً من

(4) في « ب » : من

(5) في « س » و « م » : شوش.

(6) في « ب » و « م » : و

(7) في « ب » و« م » : المدبر له.

(8) في « م » : لا ينفع

(9) في « س » : وأن التوكل في م : التوكل ناقصة، والتوكل كما يرى الجرجاني هو : الثقة بما عند الله.

(10) في « ب » : إذ الله : ناقصة وفي « م » : إن الله بالغ أمره : ناقصة.

ومتى طالع بتوكله عوضا كان توكله مدخولا وقصده معلولا. فإذا خلص من رق هذه الأسباب ولم يلاحظ في توكله سوى خالص حق الله تعالى عليه كفاه الله كل مهم.

كما حكي أن « **موسى** » عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه إلى واد كثير الذئاب، وكان قد بلغ به التعب غاية، فبقي متحيرا إن اشتغل بحفظ الأغنام عجز عن ذلك لغلبة النوم عليه والتعب. وإن هو طلب الراحة والسكون بالنوم عاثت الذئاب في الأغنام. فرمق بطرفه نحو السماء وقال : أحاط علمك ونفذت إرادتك وسبق تقديرك، ثم وضع رأسه فنام. فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عاتقه وهو يرعى الأغنام فتعجب[1] **موسى** عليه السلام من ذلك، فأوحى الله عز وجل[2] إليه : « **ياموسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد**»[3].

وحكي أن الجراد وقع على زرع كان "**لرابعة[4] العدوية**"، فلما جاءها الخبر خرجت فرأت الجراد قد ركبه[5]، فرمقت إليها بطرفها نحو السماء وقالت : إلهي رزقي قد تلفت به، فإن شئت فاطعم زرعي هذا[6] أعداءك[7]، وإن شئت فاطمعه أولياءك، فطار الجراد جميعه عنه، وكما قيل :

إذا شئت أن أرض وأن ترضي — وتملكي زمامي ما عشنا معا وعنانيا

ألا فارمقي الدنيا بعيني — واسمعي بأذني فيها وانطقي بلسانيا

---

(1) في « ب » : فعجب، وفي م : الفقرة من : « ومتى طالع بتوله» إلى «يرعى الأغنام فتعجب» ناقصة

(2) في « ب » : تعالى، وفي « م » : عليه السلام : ناقصة

(3) الحديث : موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

(4) في « ب » و «م» : على زرع لرابعة : ورابعة العدوية هي رابعة القيسية البصرية أشهر النساء العارفات بالله، وقولها جاء في جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 69

(5) في « س » و « م » : ارتكبه و.

(6) في « ب » و « م » : ناقصة

(7) في « ب » و« م » : أعداك.

الفصل الخامس : وأما الصبر فهو من منازل العوام أيضا

فصل وأما الصبر فهو من منازل العوام أيضا، لأن **الصبر**[1] حبس النفس على المكروه وعقل اللسان عن شكواه، ومكابدة الغصص في تحمله، وانتظار الفرح عند عاقبته. وهذا في طريق الخاصة تجلد ومقاومة وجرأة ومنازعة، فإن حاصله راجع إلى كتمان الشكوى في تحمل الأذى بالبلوى، والحقيقة عند القوم[2] الخروج عن الشكوى بالتلذذ بالبلوى والاستبشار باختيار المولى.

وقيل أنه ثلاث مقامات[3] مرتبة فوقها فوق بعض :

فالأولى : التصبر : وهو تحمل مشقة وتجرع غصة في التثبت[4] على ما يجري من الحكم، وهذا هوالصبر لله، وهو صبر العوام.

والثاني : الصبر : وهو[5] نوع سهولة تخفف[6] على المبتلى بعض الثقل وتسهل عليه صعوبة الموارد. وهذا هو الصبر بالله، وهو صبر المريدين.

والثالث : الاصطبار : وهو التلذذ بالبلوى والاستبشار باختبار المولى ، وهذا هو الصبر على الله، وهو صبر العارفين.

---

(1) الصبر : وهو عند القوم على ثلاثة أوجه: متصبر وصبار : فالمتصبر من صبر في الله تعالى. فمرة يصبر على المكارم، ومرة يعجز، والصابر من يصبر في الله ولله. ولا يجزع ولا يتمكن من الجزع ويتوقع منه الشكوى. والصبار الذي صبره في الله ولله وبالله، فهذا لو وقع عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة، لا من جهة الرسم والخلقة. (الحفني. م. المصطلحات) وفي : م لانه، الصبر : ناقصة

(2) في " ب " : ناقصة، وفي "م" : من "والحقيقة عند القوم " إلي "باختيار المولى " ناقصة.

(3) في النص المطبوع : مقامان

(4) في :" ب " و "م" : الثبات

(5) في " س" : هو ناقصة.

(6) في "ب" و " م " : يخفف

وقيل في قول "أيوب" عليه السلام : ﴿ **مسني الضر**﴾[1]. كان في كل جارحة من جسده حصة من البلاء، وكان قد أنس بذلك البلاء وحصل له إلتذاذ[2] به كتلذذ الأجانب بالنعماء. فلما كان بعض الأيام سقطت دودة عن مكانها ففقد أثرها في ذلك المكان، فقال : « **مسني الضر**» من فقد ما أنعمت به علي من لباس أنبيائك وأوليائك، وما[3] أهلتني له من البلاء[4]، فإن الحق تعالى[5] ينعم بالابتلاء ويبتلي بالنعماء. وقديما قيل في ذلك[6]

فهل سمعتم بصب[7] سقيم قلب[8] سليم

منعم بعذاب معذب بنعيم[9]

وقيل [10] :

ألفت الضنا حتى أنست بمُكثه[11] فلو زال عن جسمي بَكَتْهُ الجوارح

وحكي[12] أن "**رابعة العدوية**" كانت مجتازة ذات يوم[13] مع نفر من أصحابها لبعض حاجتها[14]. فضرب رأسها ركن جدار فشجها فرضه وجرى الدم على

---

(1) الأنبياء : 83 الآية : { وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وهو أرحم الراحمين}
(2) في " ب " : التلذذ في البلاء.
(3) في " ب " : فأهلتني : وفي " م " : من هذا البلاء
(4) في " ب " : وهو البلاء في " م " : من هذا البلاء
(5) في " ب " : سبحانه و " م " : جل ذكره.
(6) في " ب " : وقد قيل
(7) في " ب " : يصيب
(8) في " ب " : طرف وفي " م " : جسم
(9) في " ب " : الشعر في بيت واحد
(10) في " ب " : وقال غيره وفي " م " : وقال قائلهم
(11) في " ب " : بمكثه
(12) في " ب " و « م » : وقيل
(13) في " ب " : ناقصة وفي " م " : في بعض الأيام
(14) في " ب " : حاجاتها

وجهها وثيابها وبدنها[1] وهي لا تلتفت إلى ذلك ولا تكترث به. فقال بعض أصحابها : أما تحسين بما جرى عليك وهذا الدم قد خضب وجهك وثوبك ؟! فالتفتت إليهم[2] كالمستطرقة لذلك والمتيقظة[3] من غفلتها[4]، ثم أقبلت عليهم كالمعتذرة من غفلتها وقالت : يا إخواني[5] التذاذي بموافقة مراده فيما جرى[6]، شغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال.

(1) في " ب " و " م " : فشجها ناقصة
(2) في " ب " و " م " : ناقصة.
(3) في " ب " : ناقصة.
(4) في " ب " : ناقصة
(5) في " ب " : المستيقظة
(6) في " م " : فيما جرى : ناقصة.

الفصل السادس : وأما الحزن فهو من منازل العوام

فصل وأما الحزن فإنه من منازل العوم[1]، وهو انخلاع عن السرور وملازمة الكآبة لتأسف على فائت أو توجع لممتنع. وإنما كان من منازل العوام[2] ، لأن فيه نسيان المنة والبقاء في رق الطبع. وهو في مسالك الخواص لأن معرفة الله تعالى[3] جلا [4] نورها كل ظلمة، وكشف سرورها كل غمة، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون.[5]

وقيل أوحى الله تعالى إلى "داود" عليه السلام : بي فافرح، وبذكري فتلذذ[6]، وبمعرفتي فافتخر، فَعَمَّا قليل أُفَرِّغُ الدار من الفاسقين وأنزل لعنتي على الظالمين.

وقيل أن "**عتبة الغلام**" دخل يوما[7] على "**رابعة العدوية**" وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته، بخلاف ما سبق من عادته. فقالت له : يا عتبة ما هذا التِّيهُ والعُجب الذي لم أره في شمائلك قبل اليوم ؟ فقال لها : يا رابعة ومن أولى بهذا مني وقد أصبح لي مولا وأصبحت له عبدا. وفي ذلك قيل شعر[8] :

يُبَرِّحُنِي[9] إليك الوَجْدُ حتى ... أميل من اليمين إلى الشمال

ويأخذني لذكركم اهتزاز ... كما نُشِطَ الأسير من العقال

---

(1) في " س " : العامة. و « م » : فهو من منازل العامة

(2) في " س " و " م " : العامة.

(3) في " س " و " م " : جل جلاله

(4) في " س " : جلى، وفي " م " : ملأ

(5) في " ب " و في " م " : خير مما يجمعون : ناقصة.

(6) في " م " : فيتنعم.

(7) في " س " : في بعض الأيام، وفي " م " : ناقصة.

(8) في " س " : قال قائلهم شعر وفي : شعر ناقصة.

(9) في " ب " و" م " : : يريحني.

الفصل السابع : وأما الخوف فهو من منازل العوام

فصل وأما **الخوف**[1] فهو من منازل العوام، لأنه انخلاع عن السرور وملازمة الخوف والتيقظ له بالوعيد[2]، والحذر من سطوة العقاب، وهو من منازل العوام[3]. وليس في منازل الخواص خوف لأنه لا يليق[4] للعبد أن يعبد مولاه على وحشة من نظره ونفرة[5] من الأنس به عند ذكره. قال الله تعالى[6] : ﴿ **ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم** ﴾[7] وأما أهل الاختصاص فإنهم جعلوا الوعيد منه وعدا والعذاب فيه عذبا لأنهم شاهدوا المبتلى[8] في البلاء والمعذب في العذاب، فاستعذبوا[9] ما وجدوا في جنب[10] ما شاهدوا[11]. وفي ذلك نشدوا :

سُقمـي في الحـب عافيتـي ووجـودي في الهـوى عدمي
وعـذاب تـرضـون بـه في فمـي أحلـى مـن النعَـم
ما لِضُـرٍّ فـي محبتكـم عنـدنا، واللـه، مـن ألَـم

(1) الخوف عند القوم : هو الحياء من المعاصي والمناهي والتألم فيها. قال النبي ص : أنا أخوفكم لله تعالى. وأوحى إلى داود خفني كما يخاف السبع الفأر. وقال : من خاف الله خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء. وقال أبو القاسم الحكيم : الخوف على ضربين : رهبة وخشية، فصاحب الرهبة يلتجئ إلى المرهب إذا خاف، وصاحب الخشية يلتجيء إلى الرب. (انظر : م . المصطلحات :) وابن عربي يعتبره : ما تجذر من المكروه في المستأنف (الاصطلاحات) وفي م : هو من منازل العوام: ناقصة

(2) في " ب " و " م " : هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن والتقيظ لنداء الوعيد.

(3) في " ب " : العوام أيضا

(4) في " ب " : لا يصلح، وفي " م " : لا يومن

(5) في " ب " : ونفره.

(6) في " ب " و " م " : قال الله تعالى، ناقصة (7) الشورى : 22.

(8) في " ب " و " م " : المبلى (9) في " س " : فعدموا. (10) في " ب " و" م " : ناقصة.

(11) فكرة العذاب عذوبة قد استثمرها ابن عربي في نفي الجزاء بالمعنى الديني عن الفاعل، فالعباد سواء كانوا من أهل النار أو الجنة فإن مآلهم النعيم وإن اختلف نعيم هؤلاء عن أولئك : « فقد علمت من يتلذذ ومن يتألم وما يعقب كل حال من الأحوال وبه سمي عقوبة وعقابا وهو سائغ في الخير والشر، غير أن العرف سماه في الخيرثوابا وفي الشر عقابا...» فصوص الحكم ج : 1 ص : 96.

ومنهم من تحكم عليه سلطان الوَجد حتى جاوز في الاقتراح الحد، فطلب النعيم في العذاب حين طلب الأمان منه أكثر الأحباب فقال، وقيل [1] أنها "**لأبي يزيد**":[2]

أريدك لا أريـدك للثـواب ولكـن[3] أريـدك للعقـاب

وكـل مأربي قد نِلْتُ منـها سوى مَلْذُوذٍ وحدي بالعـذاب

فكيف أرى مـرادكم عـذابا وفي مضمونِهِ كَشْفُ الحِجَـابِ[4]

ومن كان مستغرقا في المشاهدة حال[5] وفي بساط الأنس فلا يبقى للخوف بساحته إلمام[6]، لأن المشاهدة توجب الأنس والخوف يوجب القبض.

وقيل أن **الشبلي**[7] رضي الله عنه رأى قوما مجتمعين وشابا قد بسط وضرب مائة سوط فلم يتألم لذلك[8]، ولا استغاث ولا نطق. وكان ضئيل[9] الخلقة، نحيل[10] الجسم، ثم بعد ذلك ضرب سوطا واحدا فصاح واستغاث وتألم منه[11].

---

(1) في " ب " و " م " : ويقال.

(2) وهو أبو يزيد طيفور البسطامي، كان جده مجوسيا وأسلم، وكانوا ثلاثة إخوة : آدم وطيفور وعلي، كلهم كانوا زهادا، وكان أبو يزيد أرفعم حالا. توفي حوالي سنة 261 هـ. من أقواله : لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة.

(3) في " ب " : ولكني

(4) في " س " و " م " : البيث الثالث ناقص

(5) في " ب " : جار . وفي " م " : فاستغراقه، ومن حال إلى المشاهدة : ناقصة

(6) في " ب " : الماء

(7) الشبلي هو : أبو بكر، بغدادي المولد والمنشأ، كان شيخ زمانه. صحب الجنيد، وكان يبالغ في مجاهدة النفس، مات سنة 334 هـ من أقواله : خير كسب المرء عمل يمينه. (عن أخباره أنظر الرسالة القشيرية).

(8) في " ب " و " م " : ناقصة

(9) في " ب " : ضعيف.

(10) في " س " : ناحل.

(11) في " ب " و " م " : ناقصة.

فلما أطلق سبيله لبس ثيابه[1] وانصرف. فعجب الشبلي من حاله[2] فتبعه خطوات ثم قال له : يا هذا لقد عجبت من قوة صبرك مع ضعف جسمك. فقال له : ياشيخ الهمم تحمل البلايا لا الأجسام. فقال له **الشبلي**[3] قد رأيتك صبرت على المائة وعجزت عن الواحدة الأخيرة وقلقت. فقال : نعم يا أخي، إن العين[4] التي كنت أعاقب لأجلها كانت التسعة والتسعين[5] ناظرة[6] إلي فكنت ألتذ بما يجري علي لاستغراقي في مشاهدتها، وفي السوط الأخير احتجبت عني[7] فبقيت مع نفسي، فوجدت الألم.

وقيل في قوله تعالى : ﴿**والكافرون لهم عذاب شديد**﴾[8] دليل[9] خطابه تعالى أن المؤمنين لهم عذاب، ولكن ليس بشديد وإنما كان عذاب الكافرين شديد[10]، لأنهم لا يشاهدون المعذب في العذاب[11]. والعذاب على[12] شهود المعذب عذب، والثواب على الغفلة عن المعطي صعب، وما لجرح إذا أرضاكم ألم[13]. فالخوف[14] من منازل العوام، وللخواص الهيبة، وهي أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف، لأن الخوف يزول بالعفو وبالأمن ومنتهاه خوف الشخص على

---

(1) في " س " و " م " : فأطلق سبيله
(2) في " ب " : من ذلك حاله.
(3) في " س " : الشيخ، وفي " س " و " ب " : قد ناقصة
(4) في " س " : ناقصة وفي " م " : إن : ناقصة
(5) في " س " و " م " : في المائة
(6) في " ب " : كانت ناظرة
(7) في " س " : ناقصة
(8) الشورى : 26
(9) في " ب " : دليله. في" م " : من دليل إلى شديد : ناقصة
(10) في " س " : شديدا.
(11) في " ب " و " م " : لا يشاهدون الذي يعذبهم، والمومنون عذابهم ليس بشديد لأنهم يشاهدون المعذب.
(12) في " م " : مع.
(13) وما .....ألم : ناقصة .
(14) في " ب " : إذا .

نفسه من العقاب، فإن أمن من العقاب زال الخوف، والهيبة[1] لا تزول أبدا، لأنها مستحقة للرب تعالى بوصف التعظيم والإجلال، وذلك الوصف مستحق له على الدوام. وهذه الهيبة تعارض المكاشف في أوقات المناجاة[2]، وتصون المشاهد أحيان المشاهدة[3] وتقصم[4] المعاين بصدمة العزة، وفيه قال قائلهم[5] :

اشتاقــه فــإذا بـــدا　　　أطــرقت من إجـلالـه

لا خيفــة بل هيبـــة　　　وصيــانـة لجمـالـــه

واصــد عنـــه تجلـدا　　　وأروم طبـــق خيالـــه

---

(1) الهيبة هي : أثر مشاهدة جلال الله من القلب، وقد يكون عن الجمال الذي هو جمال الجلال.
(ابن عربي : الاصطلاحات)

(2) في " ب " : أوقات المناجاه ناقصة وفي " م " : المناجاة

(3) في " س " : المسامرة

(4) في " ب " : وتقسم

(5) في " ب " : ومنه قال قائلهم شعر. في " م " : وفي ذلك قبل.

الفصل الثامن : وأما الرجاء فهو من منازل العوام

فصل وأما **الرجاء**[1] فهو من منازل العوام[2]، وهو انتظار غائب وطلب مفقود، وهو أضعف منازل القوم في هذا الشأن، لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه آخر[3]. وهو وقوع في **الرعونة** [4] ولفائدة واحدة نطق به[5] التنزيل، فقال تعالى: ﴿ **أولئك يرجون رحمة الله**﴾[6]. يريد على العوض من أجل المجاهدة، وقال: ﴿ **من كان يرجو لقاء الله، فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم** ﴾[7].

ووردت به السنة[8] لفائدة، وهي تبريد حرارة الخوف، لئلا يفضي بصاحبه إلى اليأس والقنوط[9]، فهو دواء[10] لمرض **الخوف**، ولا يعرض ذلك المرض إلا لعوام هذه الطائفة.

أما الخواص[11] **فالرجاء**[12] عندهم شكوى[13] ومطالعة عوض[14] وعمى، لأن العبد من سيده[15] على سبيل البر والألطاف[16]، وفي بحر الجود والألطاف[17]

---

(1) الرجاء هو : وعند القوم هو تعلق بحصول محبوب في المستقبل الجرجاني وعند ابن عربي : الطمع في الأجل (الاصطلاحات)

(2) في " ب " و " م " : ناقصة

(3) في " ب " و " م " : ناقصة

(4) الرعونة : هي الوقوف مع الطبع (ابن عربي : الاصطلاحات) ، وفي م : الدعوى

(5) في " ب " : جاء به التنزيل، وفي م : به ناقصة.

(6) البقرة 218 : وفي م : الآية ناقصة

(7) العنكبوت : 5

(8) في " س " : الألسنة

(9) في " ب " " م ": ناقصة

(10) في " س " : دواة وفي " م " : ناقصة.

(11) في " س " : فالخواص

(12) في " س " : الرجاء

(13) في " ب " : شكوا

(14) " ب " و " م " : مطالعة عوض : ناقصة

(15) في " س " : من سيده، ناقصة

(16) في " ب " : طاف

(17) في " ب " : ناقصة

غريق، وتحت وابل **الإحسان**[1] مغمور ولم يدع له ما[2] يشاهده[3] من[4] مولاه مستزادا، ولا كشف له عما طالعه منه[5] في الدارين مزيدا[6].

فالرجاء[7] وهن عقال وفترة وغفلة[8]، وفي الفتوة علة، وفي المحبة وصمة. قال الله تعالى[9] : ﴿ **أئفكا آلهة دون الله تريدون** ﴾[10] فما ترك وجوده وجوده[11] ورويته[12] لهم غرضا، ولا أبقى وجوده لهم رجاء[13]، ولا غادر حبه لشيء من الكونين في قلوبهم أثرا : ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل**﴾[14] الآية.

وسئل بعضهم : ما مراد العارف ؟ فقال : دوام معروفه، أشار بذلك إلى بقاء مراده تعالى[15]، وفناء اختيار العارف [16] ؛ لأن معروفه دائم أبدا، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وقيل أن بعض الأعراب ضلت راحلته عنه وكانت ليلة مظلمة فأكثر الطلب لها والفحص عنها[17]، فلم يعثر عليها. فلما طلع القمر وانبسط نوره وضياءه[18]،

---

(1) الإحسان مقام يكون العبد فيه ملاحظا لأثار أسماء الحق وصفاته كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك.

(2) " ب " و " م " : ناقصة

(3) في " ب " : مشاهدة.

(4) في " ب " : ناقصة.

(5) في " ب " : ناقصة.

(6) في " ب " : مراد.

(7) في " ب " : والرجاء

(8) في " ب " : وفترة وعلة : ناقصة وفي " م " : وفي الفترة علة.

(9) في " ب " و " م " : ناقصة.

(10) الصافات : 86

(11) في " ب " و " م " : ناقصة.

(12) في " ب " و " م " : ناقصة.

(13) في " ب " : ولا أبقى لهم جوده.

(14) الفرقان : 45 ، وهي في " ب " و " م " : ناقصة

(15) في " ب " و " م " : ناقصة

(16) في " ب " و " م " : اختياره

(17) في " ب " : عليها

(18) في " ب " و " م " : ناقصة

رأى ناقته باركة برحلها في بعض الأودية، فاستبشر بذلك، وكان قد اجتاز بذلك الوادي[1] عدة مرات[2] والظلام يحول دونها، فرفع رأسه إلى القمر مشيرا[3] إليه وقال شعرا[4] :

ماذا أقول وقولي ذو حصـــــر[5] وقد كَفَتْنِي التفصيل والجُمَــلاَ

إن قلت لا زلت مرفوعا فأنت كذا أو قلـت زَانَكَ[6] رَبِّي فهو قـد فَعَلاَ

فكذلك العارفون بالله تعالى لم يبق لهم أمل يتعلقون به، ولا غرض يسترقهم فيقفون[7] معه، فإن في أقل أقل[8] ما لاطفهم به أجل أجل ما تنتهي إليه آمالهم عند أحوالهم. ولهذا أخبر رسول الله (ص) عن أهل الجنة فقال لهم :

«**فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[9]. ذخرا من بله ما أطلعتم عليه[10]. فإذا كان ذلك لهم وهو حظ النفس من الجنة فما ظنك بما

---

(1) في " س " و " م ": الموضع
(2) في " س " : ناقصة وفي " م ": جوار
(3) في " ب " و" م " : مشيرا إليه، ناقصة
(4) في " س " : فقال
(5) في " ب " : فيك مختصر
(6) في " س " : زانك
(7) في " ب " : فيقفوا
(8) في " ب " : أقلها، وفي م : أقل يلاطفهم
(9) الحديث : عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : قال الله : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " رواه البخاري
(10) في " ب " و " م " : من : ذخرا إلى زطلعتم عليه، ناقصة

لهؤلاء وهو حظ القلوب من الله تعالى ؟ وفي ذلك قال قائلهم :

قـولـوا لأمالـي ألا فـابعُـــدِي قـد أنجز الأحباب لـي مَوعـدي

قد كنت قبـل اليوم مُستأنِسـاً منـك بخِـلٍّ مشفـق مسعـدي

وأن نسيم الروض من وصلكم وصلهم [1] هـبَّ قلبـي عنـدك ظـل نـدي

وحيـث لاحـت لـي أعـلامهـم فليـس بي فقر إلى مرشـدي

قال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾[2].

---

(1) في ب : إنَّ سُمُومَ الْيَأْسِ مِنْ وَصَلِكُمْ

(2) العنكبوت : 69

الفصل التاسع : وأما الشكر فهو من منازل العوام

فصل وأما الشكر فهو من منازل العوام وهو[1] : رؤية النعمة من المنعم والثناء على معطيها، والقيام بحقها والإقرار بوجودها. ويفتقر الشاكر[2] إلى معرفة النعمة من المنعم[3] وقبولها منه[4]، ورؤيته أولا بعين القلب والبصيرة وشكر اللب له وحدهُ عليها، إذ كانت منه إلى العبد من غير وِدٍّ سابق ولاحق. ثم رؤية النعمة بعدها منه والثناء بها والاشتغال بذكرها[5]، وهو من أضعف منازل القوم[6] لأنه حجاب عنه[7] ولأنه معارضة طوله ونعمته[8] بحولك وقولك[9]، ومقابلة نعمته بقولك قصور منك. وإنما لم يكن ذلك من منازل الخواص لأنهم رأوه قياما بمكافئات المعطي، وهربا من رق المنة، واستراحة من حبل[10] الجود وأداء لحق النعمة. فقال تعالى[11] : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾[12]

فالشكر عند القوم أن لا تشهد[13] في حال النعمة سوى المنعم أولا[14]، فإذا شهده عبودية، استعظم[15] منه النعمة[16] : إذ لاحق للعبد عليه[17]، وإذا شهده[18] حبا استخلص منه[19] الشدة.

---

(1) في " م " : وأما الشكر فرؤية المنعم

(2) في " ب " و " م " : الشكر

(3) في " ب " و " م " : ناقصة

(4) في " ب " و " م " : ناقصة

(5) في " ب " : وقبولها منه

(6) في " ب " و " م " : وهو من منازل العامة

(7) في " ب " و " م " : لأنه حجاب عنه، ناقصة

(8) في " ب " و " م " : ناقصة وفي" م " : نعمته بقولك

(9) في " ب " و" م " : ناقصة

(10) في " س " : حمل

(11) في " ب " و" م " : ناقصة

(12) في " س " : حمل

(13) في " س " : يشهدوا

(14) في " س " : حمل

(15) في " ب " : استعظموا

(16) في " س " : المنعم

(17) في " ب " و" م " : إذ لا حق للعبد عليه، ناقصة

(18) في " ب " : فإذا شهدوا، في " س " : شاهده

(19) في " ب " : استحلو

شعر :

وَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمٌ[1]

وإذا شهده[2] تفريدا فانيا عما سواه[3]، لم يشهد[4] منه شدة ولا نعمة، فيكون في شغله[5] به واستغراقه[6] فيه وغيبته[7] في حال شهوده[8] شغل به عن معرفة المنحة والمحنة[9] والنعمة والشدة في حال فنائه كالنسوة حين شَاهَدْنَ "**يوسف**" عليه السلام وبَهَرَهُنَّ حسنه فَفَنَيْنَ عن أنفسهن، وَقَطَّعْنَ أيدهن، وغاصت السكاكين بعد قطع "**الأترج**"[10] حتى قطعن أيدهن. وهذا ما يطرأ من مشاهدة مخلوق لمخلوق [آخر]، فلا يعد بالقياس الجلي أن يطرأ على العارف بالله تعالى من مشاهدة فردانية الذات وصمديتها وقدمها، وصمديتها وبقائها، وحياته التي لا يعقبها موت، وعلمه الذي لا يعقبه جهل، وإرادته التي لا يعقبها عجز، وسمعه الذي لا يعقبه صمم، وبصره الذي لا يعقبه عمى، وكلامه الذي لا يعقبه خرس، وإدراكاته التي لا تنفيها أضداد. وشاهد منه جمال هذا الوجه وهذه الصفات، وشاهد جلاله عن النقائص : من الجسمية والجوهرية والعرضية وعن كل ما يطرق إلى نقصه. وشاهد افتقار الأفعال إليه واستحالة وجودها دونه، فينشد لا محالة في حاله :

رَأَيْـتُ رَبِّـي بِعَيْــنِ قَلْبِــي فَقُلْـتُ لاَ شَـكَّ أَنْـتَ أَنْتَا

(1) في " ب " : هذا البيت ناقص وفي " م " من هذا البيت إلى : مع أن الشكر : ناقصة
(2) في " ب " : شهدوه
(3) في " ب " : فانيا عما سواه : ناقصة
(4) في " ب " : يشهدوا
(5) في " ب " : شغلهم
(6) في " ب " : استغراقهم
(7) في " ب " : غيبتهم
(8) في " ب " : شهودهم
(9) في " ب " : من المحنة إلى تمام القصيدة « رأيت ربي » ناقصة
(10) الأترج : في لسان العرب : ترج، الأترج، واحدته ترنجه وأترجه، قال علقمة بن عبدة :

يحملن أترجه نضح العبير بها كأن تطيابها في الأنف مشموم

والمترج هو المصبوغ بالحمرة صبغا مشبعا. ولعل الأترج هي فاكهة طيبة المذاق زكية الرائحة وهي ربما التفاح.

أَنْتَ الَّـذِي حُـزْتَ كُـلَّ أَيْـنِ | فَحَيْـث لاَ أَيْـنَ ثَـمَّ أَنْتَـــا
وَجُـزْتَ حَـدَّ الـدُّنُـوِّ وَالْبُعْـدِ | لاَ يَعْلَـمُ الأَيْـنَ أَيْـنَ أَنْتَـــا
أَحَطْـتَ عِلْماً بِكُـلِّ شَـيْءٍ | وَكُـلِّ شَـيْءٍ تَـرَاهُ أَنْتَـــا
وَفِي فَنَـائِي فَنَــاءُ فَنَـائِـي | وَفِي فَنَائِي وَجَدْتُ أَنْتَـــا
فَمُــنَّ بِالْعَفْـــوِ يَـا إِلاهِـــي | فَلَيْـسَ أَرْجُـو سِـوَاكَ أَنْتَا[1]

وكما قيل[1] :

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِـي أَمْ لاَ | كَيْفَ يَدْرِي بِذَلِكَ مَنْ يَتَقَـلاَّ
لَوْ تَفَرَّغْتُ لاِسْتِطَالَةِ لَيْلِـي | وَلِرَعْيِ النُّجُومِ كُنْتُ مُخِلاَّ
إِنَّ الْعَاشِقِينَ عَنْ قِصَرِ اللَّيْلِ | وَعَنْ طُولِهِ مِنَ الْهَجْرِ شُغْلاَ

مع أن الشكر لا طريق إلى القيام به[3] و لا سبيل إلى الخروج عن عُهدة واجبه، فإنه يتناهى[4] ولا ينتهي ؛ إذ شكرك لله تعالى[5] على النعمة نعمة[6] مستجدة يجب له عنك فيها الشكر. فالشكر يفتقر إلى شكر[7]، فهي تقوم[8] بحقه. وفيه قيل :[9]

وَمَتَى أَقُومُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِـي | وَالْقَوْلِ فِيكَ عُلُوُّ قَدْرِ[10] الْقَائِلِ

---

(1) في " ب " : من المنحة إلى آخر القصيدة، ناقصة
(2) في " ب " : وفي معناه أنشدوا
(3) في " ب " : للقيام به
(4) في " س " : ناقصة
(5) في " ب " و " م " : ناقصة
(6) في " ب " و " س " : ناقصة
(7) في " ب " و " س " : السكر
(8) في " ب " : متى يقام، وفي " س " : متى تقوم
(9) في " ب " و " م " : كما قيل
(10) في " ب " و " م " : تجلب و " م " : البيت ناقص لكنه أورده في آخر الفصل

وقال آخر[1]:

إِذَا كَانَ شُكْرِي[2] نِعْمَةَ اللهِ بِنِعْمَةٍ عَلَيَّ لَهُ فِيهَا(3) وَجَبَ الشُّكْرُ[4]

فَكَيْفَ بُلُوغ الشكر إِلاَّ بِفَضْلِهِ وَإِنْ طالت الأيامُ واتصلَ العُمْرُ

فمالي عُذْرٌ غير أني مُقَصِّرٌ وَعُذْرِي إِقْرَارِي بأن ليس لي عُذْرُ

إِذَا عَمَّ بالنعماء عَمَّ سُرورها وَإِنْ خَصَّ بِالْبَلْوَى أعقبها الأَجْرُ

فَمَا مِنْهُ إِلاَّ مِنَّةً فَوْقَ نِعْمَةٍ تَضِيقُ بِهَا الأَوْهَامُ وَالسِّرُّ وَالْجَهْرُ[5]

---

(1) في " ب " : وقد قيل وفي " م " : وكما قيل

(2) في " ب " : شكره، وفي " م " : ويشكو يوما نعمة الله بنعمة

(3) في " ب " و " م " : فيك

(4) في " ب " و " م " : في مثلها

(5) في " ب " : البيتين (4) و (5) ناقصين وفي " م " : الأبيات (2) و (3) و (4) و (5) : ناقصة وأورد الأبيات التالية :

وكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتسع العمر

الفصل العاشر : وأما المحبة فهي أول أودية الفناء

فصل وأما "**المحبة**"[1] فهي أول أودية "**الفناء**"[2] والعقبة التي يتحدر منها على منازل "المحو"[3] وهو[4] آخر منزل تلتقي[5] فيه مقدمة العامة بساقة الخاصة وما دونها أغراض[6] لأغراض[7]، للعوام منها شرب وللخواص شرب. قال الله تعالى[8] : ﴿ **قد علم كل أناس مشربهم** ﴾[9]

---

(1) الحب والمحبة من أهم الأحوال التي تنزل بقلب الصوفي، فهو للأحوال كالتوبة للمقامات. وأقصى درجات الحب الإلهي عند القوم هو العشق، وأقصى ما بلغته نظرية العشق الإلهي الصوفي عرف مع مذهب وحدة الوجود. ذلك أن الصوفي المتحقق بالوحدة بمجرد أن يدرك بأن الله هو الوجود الحق، فهو يدرك أن وجود الأشياء ما هو إلا وجود الله الذي ليس شيئا آخر سوى الحب الإلهي ؛ أي أن الوجود هو العشق فقط ليس إلا. بفضله كنا وبه عرفناه وعرفنا.

فالحب هو أساس وجودنا في الأعيان وقبل بداية الوجود. كما أن هذا العشق عندما يبلغ درجة الاستغراق التام للمحب من المحبوب، ويصير مالكا لحاله حتى يصبح له مقاما حاضرا بذاته كشعله تنير حياته، فإن لذة هذا العشق تجعل الصوفي يحيا سعادة وغبطة عارمة لا حدود لها.

(2) الفناء : كما يرى التهانوي هو : تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية محلها ومقامها، فيكون الحق سمعه وبصره. وعند ابن عربي الفناء هو : عدم رؤية العبد لفعله لقيام الله على ذلك. (المصطلحات)

(3) المحو : يرى الجرجاني هو : رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عن عقله ويحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر من الخمر. في م : الحق.

(4) في ب : وهي.

(5) في ب : يلتقي.

(6) في ب و م : أعراض.

(7) في ب : لا عرض، في م : ألا يعرض.

(8) في ب و م : قال الله تعالى، ناقصة .

(9) البقرة : 60 .

وقد اختلفت إشارات أهل "**التحقيق**"[1] منهم[2] في العبارة عنها، وكل من القوم[3] نطق بحسب "**ذوقه**"[4]، وأفصح عنه[5]. بمقدار **شربه**[6] وذوقه. وهي على الإجمال قبل أن تنتهي إلى التفصيل[7]. إنها[8] وجود تعظيم في القلب يمنع الشخص من الانقياد لغير محبوبه.

وقيل إيثار المحبوب على غيره، وقيل موافقته فيما ساءَ وَسَرَّ، ونفع وضرَّ. وفي معناه أنشدوا[9] :

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ ... فَلَيْسَ لي متأخر عنه ولا متقدمْ

أَجِدُ المدامةَ في هواكَ لذيذة ... أسقى له حتى كان أكرمْ

وأهنتني[10] فأهنت[11] نفسي صاغرا[12] ... ما من يهون عليك ممن يكرمْ

أحببت[13] أعدائي فصرت آحبهم ... إذا كان حظي منك حظي منهمْ[14]

---

(1) التحقيق : هو ظهور الحق في صورة الأسماء الإلهية أو هو الوصول إلى المعرفة بالله [الحفني : م المصطحات] والمحقق : هو المتحقق بالحق والخلق، ويرى أن كل مطلق في الوجود له وجه إلى التقيد وكل مقيد له وجه إلى الإطلاق، بل يرى كل الوجود حقيقة واحدة له وجه مطلق ووجه مقيد، ومن شاهد هذا المشهد ذوقا، كان متحققا ومحققا.

(2) في " ب " و " م " : ناقصة

(3) في " ب " و " م " : ناقصة

(4) ذوق : الذوق نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقونه به بين الحق والباطل، من غير أن يعتمدوا في ذلك على كتاب أو غيره. [الجرجاني]

(5) في " ب " : فصح و " م " : وانفتح له

(6) شرب : هو تلقي الأرواح والأسرار الطاهرة لما يرد عليها من الكرامات وتنعمها بذلك. فشبه ذلك بالشرب لتنعمه بما يرد على قلبه من أنوار مشاهدة قرب سيده. [الحنفي : الاصطلاحات] وفي م : شوقه

(7) في " س " : التفصيل

(8) في " س " و " م " : ناقصة

(9) في " ب " و " م " : كما قيل

(10) في " ب " : واهنت   في " س " و " م " : ناقصة   في " ب " و " م " : كما قيل

(11) في " ب " : فأهنتني

(12) في " م " : عامدا

(13) في " ب " : أشبهت

(14) في " س " : إذا كان منك حظي منهم. وفي م : البيت (4) : ناقص

وقيل : المحبة القيام بين يديه وأنت قاعد، ومفارقة المضجع وآنت راقد، والسكوت وأنت ناطق، ومفارقة المألوفات[1] والوطن[2] وأنت مستوطن.

وقال قوم : ليس للمحبة صيغة يعبر بها عن[3] حقيقتها، فإن الغيرة من أوصاف المحبة، والغيرة تأبى إلا الستر والإخفاء. وكل من بسط لسانه بالعبارة عنها والكشف عن سرها فليس[4] له منها ذوق، وإنما حركة وجدان الرائحة، ولو ذاق منها شيئا لغاب عن الشرح[5] والوصف. فالمحبة الصادقة لا تظهر على[6] المحب بلفظه، وإنما تظهر بشمائله ولحظه، ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى[7] المحبوب لموضع امتزاج الأسرار من القلوب. وفي معناه قيل[8] :

تَكَلَّمَ مِنّا في الوجوه عُيُونُنَا ... فنحن سُكوت والهوى يتكلَّمُ

تُشيرُ فأدري ما تَقُولُ بطرفها ... وأطرقُ[9] طَرْفِي عند ذاك فتفهمُ[10]

وأما [11] محبة العوام فإنها تنبت من مطالعة المنة وتثبت باتباع السنة، وتنموا على الإجابة للعناية [12]، وهي محبة تقطع الوساوس وتلذذ[13] الخدمة، وتُسَلِّي عن المصائب، وهي في طريق العوام عمدة الإيمان.

---

(1) في " س " : المألوف

(2) في " س " : ناقصة ، وفي " م " : من : والسكوت. إلى : وأنت مستوطن : ناقصة

(3) في " ب " : عنها

(4) في " س : فلذلك له

(5) في " ب " : ناقصة

(6) في " م " : في

(7) في " م " : إلا

(8) في " ب " وفي " م " : كما قيل

(9) في " س " : فاطرق

(10) في " س " و " م " : فتعلم، كما أن في س وم قلب لموضع البيتين : الأول موضع الثاني. وفي م : الفقرة من : وأما محبة العوام إلى الإيمان، ناقص.

(11) في " ب " : فأما

(12) في " ب " : للغاية

(13) في " س " : وتلذ

وأما محبة الخواص فهي محبة خاطفة تقطع العبارة، وتدقق الإشارة ولا تنتهي بالنعوت ولا تعرف إلا "**بالحيرة**"[1] والسكوت كما قيل :

تَقُولُ[2] وَقَدْ أُلْبِسَتْ وَجْداً وَحَيْرَةً وَقَدْ ضَمَّنَا بَعْدَ التَّفَرُّقِ محضرُ

أَلَسْتَ الَّذِي كُنَّا نُخَبِّرُ أَنَّهُ وَلوع بِذِكر أنا فلم ليس نُذْكَرُ

فرد عليها الوجد أفنيت ذِكْرُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ زَفْرَةٌ وَتحيرُ

وحكي أن "**عيسى**" عليه السلام مر في بعض أسفار سياحته[3]على جبل فيه صومعة[4]، فدنا منها فوجد فيها عابدا[5] قد انحنى[6] ظهره ونحل جسمه، وبلغ به الإجهاد[7] أقصى غايته. فسلم عليه "**عيسى**" عليه السلام، فرد عليه[8]، وعجب مما رأى من شواهده فقال له "**عيسى**" : منذ كم وأنت في هذه الصومعة ؟ ! . فقال : منذ سبعين سنة أسأله حاجة واحدة فما قضاها لي بعد، فعساك يا روح الله أن تكون شفيعي فيها[9]، فلعلها تقض لي. فقال عيسى عليه السلام : فما حاجتك؟ قال: سألته سبحانه أن يذيقني مقدار ذرة من خالص محبته. فقال له "عيسى" عليه السلام[10] : أنا أدعو الله تعالى[11] لك في ذلك، فدعا له "**عيسى**" عليه السلام في

---

(1) الحيرة الصوفية بديهة ترد على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم. تحجبهم عن التأمل والفكرة. قال الواسطي : حيرة البديهة أجل من سكون التولي عن الحيرة (انظر : الحفني، معجم مصطلحات الصوفية)

(2) في " س " : ناقصة ، وفي " م " : أليس كنا

(3) في " ب " : اجتاز، وفي " م " : اجتاز في يوم من أيامه

(4) في " ب " : ناقصة وفي " م " : فيها

(5) في " ب " و " م " : متعبدا

(6) في " ب " و " م " : انحنا

(7) في " س " و " م " : الاجتهاد

(8) في " س " و " م " : فرد عليه : ناقصة

(9) في " م " : ناقصة

(10) في " ب " و " س" : ناقصة.

(11) في " ب " : ناقصة.

تلك الليلة[1]. فأوحى الله تعالى[2] إليه، قد قبلت شفاعتك فيه وأجبت دعوتك[3] فعاد "**عيسى**" عليه السلام بعد أيام إلى الموضع لينظر ما كان من حال العابد، فرأى الصومعة قد وقعت والأرض التي تحتها قد ظهر فيها شق عظيم، فنزل عيسى عليه السلام في ذلك الشق، وانتهى فيه فراسخ [4]، فرأى العابد في مغارة تحت ذلك الجبل واقفا شاخصا بصره فاتحا « فاه». فسلم عليه "عيسى" عليه السلام[5]، فلم يرد عليه جوابا، فعجب "**عيسى**" عليه السلام[6] من حاله فهتف به هاتف : يا "**عيسى**" إنه سألنا مثقال[7] ذرة من خالص محبتنا، وعلمنا أنه لا يقدر [8] على ذلك، فوهبنا له[9] جزء من سبعين ألف[10] جزء من ذرة[11]، وهو حائر فيها[12] كما ترى[13]. فكيف لو وهبنا له أكثر من ذلك.

فمحبة الخواص من هذه[14] المعادن رشحت[15]، وبهذه الأوصاف عرفت. فعند القوم إن كل ما كان من العبد فهو علة تليق بعجز العبد وفاقته[16] ؛ إن غفل عن قوله تعالى : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾[17] الآية [18]، إنما عين الحقيقة عند

---

(1) في " س " : الحالة.
(2) في " م " : عز وجل
(3) في " ب " و " م " : مسألتك
(4) في " ب " : به، وفي " م " : فراسخ ناقصة
(5) في " س " : عيسى عليه السلام، ناقصة، وفي " م " : عليه عيسى عليه السلام
(6) في " ب " و " م " : عيسى عليه السلام، ناقصة
(7) في " س " : مثال
(8) في " ب " : يضعف، وفي م : يضعف عن حمل ذلك
(9) في " س " : ناقصة وفي" م " : فأعطيناه
(10) في " س" : من سبعين
(11) في " ب " : جزء من ذرة
(12) في " س " : ناقصة في " م " :فهو فيها حائر
(13) في " س " : كمى
(14) في " ب " : هذا
(15) في " س " : رشحة
(16) في " م " : ناقصة
(17) النمل : 53
(18) في " ب " : عندهم

القوم[1] أن يكون قائما بإقامة الحق له، محبا بمحبته له، ناظرا بنظره له من غير أن يبقى معه[2] بقية تناط باسم أو تقف على رسم[3]، أو تتعلق بأثر أو تنعت[4] بنعت أو توصف بوصف[5]، أو تنسب إلى وقت كما قال تعالى :﴿ **الذين يذكرون الله قياما وقعودا**﴾[6]. يريد قياما بحق **"الحق"**[7] وبإقامته لهم، وقعودا عن الدعوى فيه : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾[8]، ﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله** ﴾[9]، ﴿**وإن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون** ﴾[10] صم بكم بغير الحق لا يسمعون وبغير ذكره لا ينطقون[11].

---

(1) في " ب " : عندهم

(2) في " ب " : منه، وفي " م " له منه

(3) في " س " و " م " : تقف على رسم أو تناط باسم

(4) في " س " : توصف،

(5) في " س " و " م " : توصف بوصف، ناقصة

(6) آل عمران : 191

(7) الحق هو الله، والحق كذلك هو كل ما فرض على العبد من جانب الله وكل ما أوجبه الله على نفسه [اصطلاحات ابن عربي]

(8) الأنفال : 17

(9) الإنسان : 30

(10) يس : 53

(11) في " ب " و " م " : الفقرة من إلى وقت لا ينطقون، ناقصة، وكتب محلها : صم بكم عمي لدينا محضرون.

الفصل الحادي عشر : وأما الشوق فهو من منازل العوام

فصل وأما الشوق[1] فهو من منازل العوام[2] ؛ إذ "**الشوق**"[3] هو هبوب القلب إلى تمني[4] غائب يحضر[5]، وإعواز[6] الصبر عن فقده، وارتياح السر إلى طلبه، وهو من أضعف منازل القوم[7].

وأما الخواص فهو عندهم علة عظيمة ؛ لأن الشوق إنما يكون إلى غائب. ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة :﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل**﴾[8] الآية[9] فالطريق عندهم[10] أن يكون العبد غائبا والحق حاضرا. ولأجل[11] هذا المعنى لم ينطق بالشوق كتاب ولا سنة صحيحة، لأن الشوق مخبر عن بعد

---

(1) الشوق هو هيجان القلب عند ذكر المحبوب، وهو في قلب المحب كالفتيلة في المصباح. والعشق كالذهن في النار. وقيل من اشتاق إلى الله أنس إلى الله، ومن آنس طرب، ومن طرب وصل، ومن وصل اتصل، ومن اتصل طوبى له وحسن مآب. والفرق بين الشوق والاشتياق، أن الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق لا يزول باللقاء بل يزيد ويتضاعف.

(2) في " ب " : فهو من منازل العوام، ناقصة

(3) في " ب " و " م " : إذ الشوق، ناقصة

(4) في " ب " و " م " : ناقصة

(5) في " ب " و " م " : غائبة

(6) في " ب " : و أعوان

(7) في " ب " و " م " : مقامات العوام

(8) القصص : 24

(9) في " ب " و " م " : الآية ناقصة

(10) في " ب " و " م " : والطريق

(11) في " س " : ولهذا

ومشير إلى غائب، وتطلع إلى مدرك[1]. وقد قال تعالى[2] : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم**﴾ [3] الآية. وفي هذا قيل :

وَلاَ مَعْنَى لِشَكْوَى الشَّوْقِ يَوْماً إِلَى مَنْ لاَ يَزُولُ عَنِ الْعِيَانِ[4]

أُوَدّعُكُمْ وَأودعكم جَنَانِي وأسبلُ عبرة مثل الجُمَانِ

وَلَوْ شَاءَ الإِلَهُ لما افْتَرَقْنَا وَلَكِن لاخيار مع الزَّمَانِ

وحكي أن "**الشبلي**" رحمة الله عليه[5]، أنه[6] رأى في بعض الأيام مجنونا يعدو والصبيان خلفه يرمونه[7] بالحجارة. وقد أدموا وجهه وشجوا[8] رأسه، فقام له "**الشبلي**" في زجرهم[9]عنه، فقالوا : يا شيخ دعنا نقتله فإنه[10] كافر. قال[11]: وما الذي بان لكم من كفره ؟ فقالوا : إنه يزعم أنه يرى ربه ويحادثه. فقال : أمسكوا عنه[12] قليلا حتى أسأله. ثم تقدم "**الشبلي**" إليه فوجده يتحدث ويضحك[13] ويقول في أثناء ذلك : هذا جميل منك، تسلط على هؤلاء الصبيان يفعلون بي هكذا. فتقدم إليه وقال له : يا أخي أصحيح ما يقول هؤلاء الصبيان عنك. قال يا شلبي[14] وما يقولون ؟ قال : يقولون أنك ترى ربك وتحادثه. فصاح

(1) في " ب " و " م " : إدراك .
(2) في " ب " و " م " : ناقصة .
(3) الحديد : 4
(4) في " ب " : وقد قال قائلهم، في " م " : قال الشاعر
(5) في " ب " و " م " : البيتان (2)
(6) في " ب " : ناقصة
(7) في " س " : بالأحجار
(8) في " س " : فتحوا
(9) في " س " و " م " : فأخذ الشبلي يزجرهم
(10) في " س " : لأنه
(11) في " ب " و " م " : فقال
(12) في " س " : علي
(13) في " ب " : ثم في " ب " ناقصة
(14) عن أخباره انظر الرسالة القشيرية. ومن شعره كما قال أبو العباس البغدادي :

وكم من موضع لو مت فيه لكنت به نكالا في العشرة

صيحة عظيمة ثم قال : يا **شبلي** وحق من تيمني بحبه وهيمني به[1] بين بعده وقربه، لو احتجب عني طرفة عين لتقطعت من ألم البين، ثم ولى وأنشأ يقول[2] :

خَيَالُكَ فِي عَيْنِي[3] وَذِكْرَكَ فِي فَمِي ... وَمَثْوَاكَ فِي قَلْبِي فَأَيْنَ تغيـبُ

عَلَيْكَ رَقِيبٌ مِنْ جُفُونِي كَمَا غَـدَا ... لَكَ الْيَوْمُ مِنْ قَلْبِي علـى رقيبُ

خَلِيلِـي مَا لِلْعَاشِقِيـنَ قُلُــوبٌ ... وَلاَ لِلْعُيونِ المغيرَاتِ ذُنُوبُ[4]

(1) في " ب " و " م " : ناقصة

(2) في " ب " و " م " : ثم ولى وهو يقول

(3) في " ب " و " م " : وهمي

(4) في " س " : البيت (2) الثاني، ناقص، وفي " م " : البيتين (2) و (3) ناقصان

الفصل الثاني عشر : فهذه جميعها علل أنف الخواص منها :

فصل[1] هذه[2] جميعا[3] علل أنف الخواص منها، وأسباب انفصلوا عنها، فلم يبق لهم مع الحق إرادة ولا في عطائه شوق إلى استزادة [4]. فهو منتهى مرادهم وغاية رغبتهم[5]، فيعتقدون أن ما دونه قاطع. قال الله تعالى : ﴿ **قل الله**[6] **ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾[7]، ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة قل الله** ﴾[8]. فزهدهم[9] جمع " **الهمة** "[10] عن متفرقات الكون، لأن الحق عافاهم بنور "**الكشف**"[11] من

(1) في " ب " : ناقصة.

(2) في " ب " : فهذه.

(3) في " ب " : كلها.

(4) في " س " : استراده

(5) في " م " : بغيتهم

(6) في " ب " : قل الله : ناقصة

وفي " م " : { قل الله ثم ذرهم }

(7) الأعراف : 91

(8) الأنعام : 19 ، وفي " س " : الآية ناقصة : وفي " م " تسبيق الآية الأولى عن الثانية (الأنعام 19 عن الأعراف : 91)

(9) في " ب " : وإنما زهدهم

(10) الهمة : يطلق بازاء تجريد القلب بالمنى، ويطلق بازاء أول صدق المريد، ويطلق بإزاء جمع الهمم لصفاء الإلهام، (ابن عربي الاصطلاحات) والهمة قوة فعالة أو طاقة فاعلة في الإنسان لها فيه مصدران : الأول : هو أصل الجبلة، والثاني : التربية والاكتساب.

وقبل ابن عربي لم ينبه أحد عن مصدري الهمة حيث يقول : « واعلم أن وجود هذه الهمة في العبد على نوعين ولها مرتبتان : همة تكون في أهل خلقة العبد وجبلته. وهمة تحصل له بعدان لم تكن...فإذا علمها من نفسه، صرفها فيما أراد من الموجودات، كمنطق عيسى عليه السلام في المهد، بأمر الله وهمة مريم...إنها عندنا كلها أسباب يفعل الحق سبحانه وتعالى الأشياء عندها لا بها...» مواقع النجوم ص 84 مصر 1325 هـ

(11) الكشف : حسب الجرجاني : هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا. والفرق بين الكشف والمشاهدة كما يرى ابن عربي : « فالمشاهدة طريق إلى العلم، والكشف غاية ذلك الطريق، وهو حصول العلم في النفس، وكذلك إذا خاطبك فقد أسمعك خطابه وهو شهود سمعي. فإن المشاهدة للقوى الحسية لا غير، والكشف للقوى المعنوية....» (الفتوحات المكية ج 2 ص 497).

التعلق "**بالأحوال**"[1]. قال الله تعالى :﴿ **إنا أخلصناهم بخالصة بذكرى الدار**﴾[2].

وتوكلهم رضاهم بتدبير الخلق وتخلصهم من تدبيرهم، وفراغ[3] هممهم من إحالتها في إصلاح شأنهم[4] لوقوفهم على فراغ المدبر منها وممرها[5] على علمه[6] بمصالحهم فيما قال الله تعالى فنفوسهم مطمئنة بذلك[7] : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية...**﴾[8].

وصبرهم صونهم قلوبهم عن خواطر السوء، لأنه ليس لله تعالى قضاء عاريا عن الرأفة، خارجا عن الرحمة[9] قال الله تعالى[10] : ﴿**وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا**﴾[11].

وحزنهم بأسهم عن أنفسهم الأمارة بالسوء. قال الله تعالى[12] : ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود**﴾[13] وخوفهم هيبة الجلال لا خوف العذاب، لأن خوف العذاب مناضلة

---

(1) الأحوال : جمع حال : هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط... من غير تصنع، ويسمى الحال أيضا بالوارد، ولهذا يقال أن الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه. ومن شرط الحال كما يرى ابن عربي. أن يزول ويعقبه الميل، وأن يصفو، وقد لا يعقبه الميل. ومن هنا نشأ الخلاف، فمن أعقبه الميل قال بداومه، ومن لم يعقبه الميل قال بعدم دوامه.

(2) ص : 46 ، وقال الله تعالى في م : ناقصة

(3) في " س " :

(4) في " ب " و " م " : شؤونهم

(5) في " ب " : مرها

(6) في " ب " : بها

(7) في " ب " و " س ": ناقصة

(8) الفجر : 28 وفي " ب " و " س " : { يأأيتها النفس } ناقصة

(9) في " ب " و " م " : الخيرة

(10) في " ب " و " م " : قال الله تعالى ناقصة

(11) الأنفال : 17

(12) في " ب " و " م " : قال الله تعالى ناقصة

(13) العاديات : 6

عن النفس[1] وهيبته سبحانه[2] تعظيم للحق، ونسيان للنفس. قال الله تعالى : ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**[3]﴾ وقال الله تعالى في حق العوام : ﴿ **يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾[4]

ورجاؤهم ظمأهم إلى الشراب الذي هم فيه غرقى وبه سكرى. قال الله تعالى[5] : ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل** ﴾[6]. وقال في ذكر الواسطة قبل ذكره له على الافراد : ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسى** ﴾الآية[7]

وشكرهم سرورهم بوجودهم[8] ورؤيتهم النعمة لموحدهم، ومن رضي فله الرضى :

وَعَيْـنُ الرِّضَـى عَنْ كُـلِّ عَيْـبٍ كليلة   وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيءَ.

رضي الله عنهم ورضوا عنه. قال الله تعالى : ﴿ **فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتهم به**﴾ الآية[9]

ومحبتهم فناؤهم في محبة الحق[10] وأحبابه[11]، فإن المحاب كلها طلب في محبة الحق، وتصاغرت واضمحلت. قال الله تعالي : ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال**﴾[12]. وشوقهم هربهم من رسمهم وسماتهم[13]. قال الله تعالى[14] : ﴿ **وعجلت إليك ربي لترضى** ﴾[15] الآية.

---

(1) في " ب " : وظل بها

(2) في " ب " و " م " : وهيبة الجلال

(3) النحل : 50

(4) النور : 37

(5) في " ب " و " م " : ناقصة

(6) الفرقان : 45

(7) طه : 17، وفي " م " : من : قال في ذكر الواسطة ، إلى : الأية : ناقصة

(8) في " ب " : بموجوديتهم، وفي " م " : بموجودهم

(9) التوبة : 111 وفي " م " : من : رويتهم النعمة... إلى تعالى : ناقصة

(10) في " ب " : لهم

(11) في " م " : واحتسابه. ومن : فإن المحاب إلى قال تعالى : ناقصة

(12) يونس : 32

(13) في " ب " : ناقصة

(14) في " ب " و " م " : استعجالا للوصول إلى غاية المنى، وفي " م " : قال تعالى ناقصة

(15) طه : 84

الفصل الثالث عشر : فالإرادة والتوبة والزهد والتوكل والصبر والحزن والخوف، والرجاء والشكر والمحبة والشوق والأنس، منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة

فصل الإرادة والتوبة[1] والزهد والتوكل والصبر والحزن والخوف، والرجاء والشكر والمحبة والشوق والأنس[2]، منازل[3] أهل الشرع السائرين إلى "**عين الحقيقة**"[4]. فإن شهدوا عين الحقيقة اضمحلت فيها أحوال السائرين[5]. ووصلوا فيها إلى مقام الفناء عما سواه سبحانه، فإن ما قبل هذه "**المقامات**"[6] فَمُرَادَةٌ إلى هذه الغاية، وهو النظر إلى الله عز وجل : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾[7]. قال **الضحاك**[8] : ارجعي إلى جسدك فادخلي في

---

(1) في " ب " : ناقصة (2) في " ب " : ناقصة (3) في " ب " : من منازل

(4) عين الحقيقة : عند ابن العريف تشير إلى بلوغ السائرين إلى حقيقة الحقائق الله والفناء فيه والنظر إلى وجهه عز وجل. وعين الحقيقة في مذهب ابن عربي هي الماهية، وذات، والحقائق لا تنقلب ولا تتبدل ولا تتفاضل فيما بينها وهي أصل ومبدأ التمييز.

والحقيقة في ذاتها إذن كما يرى الشيخ الأكبر هو الوجود في وحدته، والوصول إلى الحقيقة هو شهود لتاك الوحدة الوجودية. إذن الحقيقة هي الوصول إلى وحدة الوجود : « إن الحقيقة هي ما هو عليه الوجود بما فيه من الخلاف والتماثل والتقابل... فعين الشريعة عين الحقيقة... فالحقيقة إن أعطت أحدية الألوهية فإنها أعطت النسب فيها، فما أثبتت إلا أحدية الكثرة... فالحقيقة التي هي أحدية الكثرة لا يعثر عليها كل أحد... فالحقيقة صفة حق خلف حجاب صفة عبد...» (الفتوحات المكية ج 2 ص 563)

(5) في " ب " و " م " : الفقرة من السائرين إلى ما لم يزل، ناقصة

(6) المقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغيرها. والمقام معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من المجاهدات... وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام ما لم يستوف أحكام ذلك المقام.

(7) الفجر : 28

(8) الضحاك : هو ابن مزاحم، الطبقة الخامسة من صغار التابعين، مفسر،(ت 100 هـ)

عبادي وادخلي جنتي، وقد كانت قبل هذا في بدايتها أمارة بالسوء، ثم ﴿ **قد أفلح من زكاها**﴾ الآية [1] ثم صارت لوامة : ﴿ **فلا أقسم بالنفس اللوامة**﴾[2]. والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. ثم صارت مطمئنة بذكر الله : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[3]، ﴿**ادخلوها بسلام**﴾[4] آمنين ﴿ **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم من الأيام الخالية** ﴾[5]. ﴿ **تحيتهم فيها سلام**﴾[6]. ﴿**سلام قولا من رب رحيم**﴾[7]. ألم تر كيف فنى منهم ما لم يكن لدخول الجنان أهلا، وبقي ما لم يزل. وكما قلت في ذلك[8] :

أَلاَ قُـلْ لِمَـنْ يَـدَّعِـي حُبَّنَـا ... وَيَزْعَـمُ أَنَّ الْهَـوَى قَدْ عَلَـقْ
وَلَوْ كَانَ فِيمَا ادَّعَى صِـدْقـاً ... لكن على الغُصْنِ بَعْـضُ الْـوَرَقْ
فأين النحـولُ وأيـنَ الذُّبُـولُ ... وأيـن الغـرامُ وأيـن القلـقْ
وأين الخضـوعُ وأين الدُّمُـوعُ ... وأيـن السُّهَـادُ وأيـن الأرقْ
لنـا الخائضـون بِحَارَ الْهَـلاكِ ... إِذَا لَمَعَـتْ نَارُنَـا فِـي الْغَسَـقْ
فَهُمْ شَاخِصُـونَ إِلَى ضَوْئِـهَا ... وَقَدْ حَدَّقُـوا نَحْـوَهَا بالحـدقْ
وَبَاتُـوا عَلَـى قَـدْرِ أَحْوَالِهِـمْ ... فَهُمْ فِي الْوُصُـول إليهـا فـرقْ
فقوم على البعـد في ضَوئِهِـمْ ... يَسيـرون فـي واضحـات الطُّرُقْ
وَقَوم أتـوا يخبطـون الوهـاد ... عُسُوفاً[9] إليهـا بِقَطْعِ العَـلَقِ
إلـى أن تبـدَّى لهـم لائـحٌ ... من الوَجْدِ أَبْدَى[10] كميـن الحرقْ

(1) الشمس : 9
(2) القيامة : 2 الآية : { ولا أقسم بالنفس اللوامة}
(3) الرعد : 28
(4) ق : 34
(5) الحاقة : 34
(6) يونس : 10
(7) يس : 58
(8) في " ب " : وفي ذلك قلت شعرا، في" م " : كما قلت
(9) في " س " : عسقا، وفي " م " : الزهادة
(10) في " ب " : أبدا

فَغَابُوا عن الوجْدِ[1] عَيْنَ الوُجُودِ وَكل إلى ضـوئها مُسْتَبَـقْ[2]
وحتى وإن كنـت[3] ذا فطْنَـةٍ تمارس بالجِـدِّ أو تخـرقْ[4]
فما بَرَحُـوا خائضيـن لُجَّهَـا وأمواجها فوقهم[5] تَصْطَفِـقْ
إِلَّى أن تَـرَنَّـمَ حـاديهم بـبَيْتَيْنِ قالهُـمَا من سَبَـقْ
تَوَلَّـعَ بِالعِشْـقِ حَتَّى عَشَـقْ فَلَمَّا اسْتَقَـلَّ بِـهِ لَـمْ يَطِـقْ
رأى لُجَّـةً ظنهـا مَوْجَـةً فَلَمَّـا توسَّـط فيهـا غَـرَقْ
فحطُّـوا جِبَـالَ مراسيهـم وَغَاصُوا[6] فَغَطَّاهُم وانْطَبَـقْ[7]

وفي معناه قيل :

أرى طالب الدُّنيا وَإِنْ طَالَ عُمْرُهُ وَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا سُرُوراً وَأَنْعُمَا
كَبَـانٍ بَنَـى بُنْيَانَـهُ فَأَتَمَّـهُ فَلَمَّا اسْتَوَى مَا قَدْ بَنَاهُ قَدْ تَهَدَّمَا

وفيه عرض لي :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وأيقَـنَ أَنَّا لاَحِقَـانِ بقصيـرا
فقلـتُ لهُ لاَ تَبْكِ عينـك إِنَّمَـا تحاول ملكا أو تموت[8] فتعذر

(1) الوجد : التواجد والوجود : التواجد بداية وهو يوجب استيعاب العبد، والوجد واسطة وهو يوجب استغراق العبد، والوجود نهاية وهو يوجب استهلاك العبد، كمن شهد البحر ثم ركب البحر، ثم غرق في البحر [ابن عربي الاصطلاحات].

(2) في " ب " : إلى حده سبق

(3) في " س " : فإن

(4) في " س " : ممارسة الجد أو تخترق

(5) في " ب " : حولهم

(6) في " س " و" م " : وغطوا

(7) في " ب " و" م " : اضطراب وعدم ترتيب في أبيات الشعر كما تحقق. وقد ألحق بالمخطوط " م " بأدعيات وبمقطعات شعرية وهي ليست من المحاسن، ولربما أنها من إضافة الناسخ، فهي تختلف موضوعا ومنهجا وأسلوبا وروحا عن الكتاب الأصلي.

(8) في " س " : تمون

فهذا حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم، أيستكثر مع ذلك أن يصلي لله تعالى[1] ركعتين أو يتصدق درهمين أو يسهر ليلتين، كلا بل لو كان له ألف نفس وألف روح وألف عمر مثل عمر الدنيا وأكثر، فيبدل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا، ولئن ظفر ذلك بعده بما طلب كان ذلك غنى[2] عظيما وفضلا من الله تعالى كبيرا، فتنبه أيها المسكين من رقدة الغافلين.

ثم أني تأملت ما يعطيه الله سبحانه وتعالى للعبد، إذا أعطاه ولزم خدمته وسلك هذه الطريقة عُمْره. فوجدتها على الجملة أربعين "**كرامة**"[3]، عشرون منها في الدنيا وعشرون في العقبى.

أما التي في الدنيا :

الأولى : أن يذكره الله سبحانه وينثني عليه، وأكرم بعبد يكون رب العالمين في ذكره وثنائه.

والثانية : أن يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك، لشرفت به. فكيف بإله الأولين والآخرين ؟!

والثالثة : أن يحبه الله تعالى، ولو أحبك رئيس مَحَلَّةٍ أو أمير بلدة لافتخرت بذلك وانتفعت به في مواطن عزيزة، فكيف بمحبة رب العالمين ؟!

والرابعة : أن يكون له وكيلا يدبر أموره.

والخامسة : أن يكون لرزقه كفيلا يوجهه إليه من حال إلى حال من غير تَعَبٍ أو وبال.

---

(1) في " س " : الله

(2) في " س " : غنا

(3) الكرامة : خاصية للأولياء، والمعجزة للأنبياء. وظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه، أنه أمر موهوم في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول [مصطلحات، حفني]
وكما يرى النقاد أن الكرامة نشأت عند العامة بعيدا عن النقد الصوفي فهي في أغلب الأحيان من المرويات التي تتناقلها مجالس المريدين.
ويرجع السبب في ذلك إلى أن " الولي " أو " الصالح " يكتم الكرامة، وبالتالي تتناقل وتتسرب بعيدا عنه محملة بالكثير من الأساطير والخرافات مما جعل هذه الطائفة مجالا للنقد.

والسادسة : أن يكون له نصيرا يكفيه لكل قاصد سوء.

والسابعة : أن يكون له أنيسا لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والزوال والاستبدال.

والثامنة : غنى النفس، فلا يلحقه ذل خدمة الدنيا وأهلها، بل لا يرضى أن يخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها.

والتاسعة : رفع الهمة فيرتفع عن التلطخ بقادورات الدنيا وأهلها، ولا يلتفت إلى زخرفها وملاهيها تَرَفُّعُ الرجال الأَلِبَّاءِ عن ملاعبة الصبيان والنسوان.

والعاشرة : غنى القلب، فيكون أغنى من كل غنى في الدنيا، لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا يَفْزَعُهُ جَدْبٌ ولا يهمه عدم.

الحادية عشرة : نور القلب، فيهتدي بنور قلبه إلى علوم وأسرار وحكم لا يهتدي إلى بعضها غيره إلا بجهد جهيد وعمر مديد.

الثانية عشرة : شرح الصدر، فلا يضيق درعا بشيء من محن الدنيا ومصائبها، وظنون الناس ومكائدهم.

الثالثة عشرة : المهابة والموقع في النفوس تحترمه الأخيار والأسرار، ويهابه كل فرعون وجبار.

الرابعة عشرة : المحبة في القلوب، سيجعل لهم الرحمن ودا، فترى القلوب كلها مجبولة على حبه، والنفوس كلها مجبولة على تعظيمه وإكرامه.

الخامسة عشرة : البركة العامة في كل شيء، من كلام أو نفس أو فعل أو ثوب أو مكان، حتى يتبرك بتراب وَطِئَهُ وبمكان يعيش فيه، وبإنسان صحبه أو رآه حينا. قال البغداديون : تراب قبر " **معروف الكرجي**"[1] ترياق مجرب، يفرج الله تعالى به من كل علة.

(1) معروف الكرخي : كانا أبواه نصرانيين، أسلم على يدي " ابن موسى الرضا" صحب داود الطائي وتتلمذ عليه " السري السقطي". مات نحو 200 هـ . من أقواله : إذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وأغلق عليه باب الجدل.

السادسة عشرة : يتخير الأرض من البر والبحر، إن شاء سار في الهواء أو مشى على الماء أو قطع وجه الأرض بأقل من ساعة.

السابعة عشرة : تسخير الحيوان والوحوش والبهائم وغيرها، فتحبه الوحوش وتبصبص له الأسود.

الثامنة عشرة : ملك مفاتيح الأرض، فحيث ما يضرب يده فله كنز إن أراد، ما تضرب رجله فله عين ماء إن احتاج. وأين ما نزل فله مائدة تحضر إن قصد الأكل.

التاسعة عشرة : القيادة والوجاهة على باب رب العزة، فيبتغي الخلق الوسيلة إلى الله تعالى بخدمته، ويستنتج الحاجة من الله تعالى بوجاهته وبركته.

العشرون : إجابة الدعوة من الله تعالى، فلا يسأل شيئا إلا أعطاه الله إياه ولا يشفع لأحد إلا شفع، ولو أقسم على الله لأبره. (...)[1] [و]أن منهم من لو أشار إلى جبل لزال، فلا يحتاح إلى اللفظ باللسان ولو خطر بباله شيء لخطر، ولا يحتاج إلى إشارة باليد.

فهذه كرامات في الدنيا، وأما التي في الآخرة والعقبى.

الواحد والعشرون : أن يُهَوِّنَ الله عليه سكرات الموت، وهي التي وجلت منها قلوب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، حتى سألوا الله أن يهونها عليهم. حتى أن منهم من يكون الموت عنده مثل شربة الماء الزلال للضمآن. قال الله تعالى :

﴿**الذين تتوفاهم الملائكة طيبين**﴾[2].

الثانية والعشرون : التثبت على المعرفة والإيمان، وهو الذي منه الخوف والفزع وعليه كل البكاء والجزع. قال الله تعالى جل ذكره : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾[3].

---

(1) في "س" فراغ .

(2) النحل : 32.

(3) إبراهيم : 27.

الثالثة والعشرون : إرسال روحه بالروح والريحان والبُشر والأمان، لقوله سبحانه: ﴿ **لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون** ﴾[1] فلا يخاف هما يقدم عليه في العقبى، ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا.

الرابعة والعشرون : الخلود في الجنان.

الخامسة والعشرون : التحيات والبُشَرُ من ملائكة السماوات لروحه بالإكرام والإلطاف والانعام، ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على الصلاة عليه، والمبادرة إلى تجهيزه ودفنه، ويرجون بذلك أكبر تواب[2] ويعدونه أعظم غنيمة.

السادسة والعشرون : الأمان من فتنة سؤال القبر، وتلقين الصواب، فيأمن الهول.

السابعة والعشرون : توسيع القبر وتنويره فيكون في روضة من رياض الجنة إلى يوم القيامة.

الثامنة والعشرون : (ناقصة في المخطوط).

التاسعة والعشرون : إيناس روحه (...)[3] وإكرامها، فتجعل في أجواف طير خضر، فلا يزال تعلق في شجر الجنة حتى يبعثه الله إلى جسده (...)[4]، فرحين مستبشرين بما أتاهم الله من فضله.

الثلاثون : الحشر في العز والكرامة من حلل وتاج وبراق وبياض وجه ونوره. قال الله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة** ﴾[5] .

الحادية والثلاثون : الأمن من الأهوال يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿ **أم من يأتي آمنا يوم القيامة** ﴾[6] .

---

(1) فصلت : 30.
(2) في " س" : ثواب
(3) في " س" : فراغ
(4) في " س" : فراغ
(5) عبس : 38
(6) فصلت : 40

الثانية والثلاثون : إيتاء الكتاب باليمين، ومنهم من كُفي رأسا.

الثالثة والثلاثون : تيسير الحساب، ومنهم من لا يحاسب أصلا.

الرابعة والثلاثون : ثقل الميزان، ومنهم من لا يوقف للوزن أصلا، ويقال ما على المحسنين من سبيل، والله غفور رحيم، لا يسمعون حسيسها، وهم فيها فيما اشتهت أنفسهم خالدون.

الخامسة والثلاثون : ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم يشرب شربة لا يضمأ بعدها أبدا.

السادسة والثلاثون : جواز الصراط والنجاة من النار، حتى أن منهم من لا يسمع حسيسها وتخمد له النار.

السابعة والثلاثون : الشفاعة في عرصات القيامة نحوا من شفاعة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم.

الثامنة والثلاثون : ملك الأبد في الجنة.

التاسعة والثلاثون : الرضوان الأكبر.

الأربعون : لقاء رب العالمين، إله الأولين والآخرين بلا كيف جل جلاله.[1]

---

(1) في هذا اللقاء الذي تتم فيه الرؤية السعيدة، نظرة متأثرة بنظرية الأشاعرة في الرؤية، والذي هو موقف وسط ومعتدل بين أصحاب النقل وأصحاب العقل، بين أصحاب التصديق السادج الذي يسقط في التشبيه، وأصحاب العقل والمنطق من معتزلة وفلاسفة فيما يتعلق بالمسائل العقائدية وخاصة مسألة الرؤيا.
فأصحاب العقل يتبثون رؤية الله سواء في الدنيا أو الأخرة. كما يرى القمر في الليلة الليلاء (حديث شريف) أما أصحاب العقل فينكرون هذه الرؤية وينفونها في الدنيا والآخرة، مستدلين بعدد من الآيات مثل قوله تعالى : { لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}. الأنعام : 103).
وبعدد من الأدلة العقلية : منها أن العين لا ترى إلا الألوان والأشكال المتحيزة في مكان والله منزه عن كل ذلك.
ومن تمة يرى الأشعري أن الله سيرى بنوع من الإدراك " بلا كيف " يفوق علمنا في الدنيا.

ثم أقول : وإنما عددت لك حسب فهمي ومبلغ علمي في قصوره ونقصه. ومع ذلك فلقد أجملت وأوجزت وذكرت من الأصول والجمل، ولو فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب. ألا ترى أني جعلت خلعة ملك الأبد خلعة واحدة، ولو فصلتها إلى أربعين خلعة من نوع الحور العين والقصور واللباس وغير ذلك، ثم كل نوع يشتمل على تفاصيل لايحيط بها إلا عالم الغيب والشهادة، الذي هو خالقها ومالكها. وأي مطمع لنا في ذلك وربنا سبحانه يقول : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**﴾[1]. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** »[2].

وأن المفسر يقول في قوله تعالى : ﴿ **لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي**﴾[3] أن هذه الكلمات التي يقول سبحانه لأهل الجنة في الجنة باللطف والإكرام، ومن تكون حالته هذه فأنى يبلغ جزء من ألف جزء منه، ونحن بشر أحيط به علم مخلوق. كلا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه العقول، وحق أن يكون ذلك كذلك، وهو عطاء القدير العليم على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم. ألا لمثل هذا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلوب العظيم، وليعلموا أن ذلك كله لأقل قليل في جنب ماهم إليه محتاجون وإياه يطلبون، وله يتعرضون. وليتعلموا أن العبد لا بد له في الجملة من أربعة :

1) العلم بذات الله أولا وهو الأحد الصمد.

2) وبصفاته التي هي حياته وعلمه وإرادته وقدرته وسمعه وبصره وكلامه الذي ليس بحرف ولا صوت وإدراكاته.

---

(1) السجدة : 17.

(2) الحديث : رواه أبو نعيم من طريق يعقوب بن حميد، عن أبي عجلان عن أبيه عن آبي هريرة. وأخرجه كذلك الترميذي وصححه ابن حيان (انظر كتاب الأحاديث الصحيحة، للألباني).

(3) الكهف : 109.

3) ونفي النقائص عنه والآفات لكونه سالما.

4) وثبوت أسمائه الحسنى[1].

ثم العمل المتقن من علم الذي هو فرض عينه والإخلاص والخوف. ويعلم أولا الطريق باعتقاد وجوب النظر، وإلا فهو أعمى ثم يعمل بالعلم وإلا فهو محجوب، ثم يخلص العمل وإلا فهو مغبون.

ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات إلى أن يحدر الأمان، وإلا فهو مغرور.

ولقد صدق **"ذو النون"**[2] رحمه الله حيث قال : الخلق كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم موتى إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون كلهم على خطر عظيم.

قلت : والعجب ثم العجب من أربعة :

إحداهما : من عاقل غير عالم، إما يهتم بمعرفة ما بين يديه، أما يتعرف ما هو مطلع عليه عند الموت بالنظر في هذه الدلائل والعبر، والاستماع إلى هذه الآيات والنذر، والانزعاج لهذه الخواطر والهواجس وحبس النفس. قال الله تعالى : ﴿**أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء**﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم**﴾[4].

---

(1) هذه الأربعة المطلوبة عند ابن العريف من أجل إذكاء الهمم حتى يتحقق لأصحابها الفوز في الدنيا والآخرة والابتعاد مواطن الزلل ومطبات الابتعاد عن الله. ومن بين ذلك وأهمها التوحيد والتنزيه المطلق لذات الله. وفي ذلك فهو يتبع طريق أهل السنة الأشاعرة في التنزيه. مثلا فهو ينفي كل ما من شأنه أن يعطل التنزيه للذات الأزلية، فالله واحد وموجود أزلي صانع لكل شيء لا شريك له، ولو كان الشريك لامتنع النظام والتدبير، ولفسدت السماوات والأرض.

وكذلك اثبات أسمائه وصفاته جل جلاله كما تقرر عند الأشعري والغزالي بعده، فهو الواحد القديم لا يشبهه شيء ولا يشبه شيئا ﴿ ليس كمثله شيء} وأن له الصفات العلى من علم وقدرة وحياة وإرادة....وأنها قديمة أزلية قدم الذات ولا مجال هناك لنفيها، كما ذهب إلى ذلك المعتزلة.

(2) ذو النون : هو أبو الفيض ذو النون المصري، نوبي من أخميم بصعيد مصر توفي سنة 245 هـ كان فائق الشأن وأوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا سعوا به إلى المتوكل فأستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعضه فبكى المتوكل. ورده إلى بلده مكرما. من أقوال : مدار الكلام على أربع : حب الجليل، وبغض القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل. انظر الرسالة عن أخباره و أقواله.

(3) الأعراف : 185، وفي "س" أولم يتفكروا...

(4) المطففين : 40

والثاني : من عالم غير عامل، أما يتذكر ما يعلم ما يلقى بين يديه من الأهوال العظام والعقبات الصعاب. وهذا هو النبأ العظيم الذي أنتم عنه معرضون.

والثالث : من عامل غير مخلص، ألا يتأمل قوله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾[1].

والرابع : من مخلص غير خائف، أما ينظر في معاملاته جل جلاله مع أصفيائه وأوليائه بينه وبين خلقه، حتى يقول لأكرم الخلق صلى الله عليه وسلم : ﴿ **لقد أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك** ﴾[2]. الآيات ونحوها، حتى كان عليه الصلاة والسلام يقول : « **شيبتني سورة هود وأخواتها**»[3]. يريد قوله تعالى : ﴿ **فاستقم كما أمرت**﴾[4].

ثم جملة الأمر وتفصيله ما قاله رب العالمين في أربع آيات من الكتاب العزيز:

1 - قوله عز وجل : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وإنكم إلينا لا ترجعون**﴾[5].

2 - ثم قال جل اسمه : ﴿ **ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون**﴾[6].

3 - ثم قال جل من قائل : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا**﴾[7].

4 - ثم أكمل الكل فقال وهو أصدق القائلين : ﴿ **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه، إن الله لغني عن العالمين**﴾[8].

---

(1) الكهف : 110.

(2) الزمر : 65.

(3) الحديث : أورده ابن مردويه في تفسيره من رواية محمد بن سيرين عن عمران بن حصين، وعند الترميذي في التفسير، باب : ومن سورة الواقعة من حديث ابن عباس.

(4) هود : 112.

(5) المؤمنون : 115.

(6) الحشر : 18.

(7) العنكبوت : 69.

(8) العنكبوت : 6.

ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زَلَّ به القدم أو جرى به القلم، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافق أعمالنا.

ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتزين في كتاب سطرناه، أو كلام نظمناه، أو علم أفدناه. ونسأله أن يجعلنا وإياكم معشر الإخوان بما علمنا به عاملين، ولوجهه مريدين. وأن لا يجعله وبالا علينا، وأن يضعه في ميزان الصالحات إذا ردت أعمالنا إلينا إنه جواد كريم.

فهذا آخر ما أردنا أن نذكره في شرح كيفية سلوك طريق الآخرة، وقد وفينا بالمقصود، وصلى الله على خير مولود دعى إلى أفضل معبود محمد صلى الله عليه وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ثم السلام عليكم معشر الطالبين والعابدين عليكم منا ورحمة الله وبركاته ما قريء فيكم إلى يوم الدين.

تم وكمل والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتنزل البركات.

اللهم انفعنا بمحبتهم، واحشرنا في زمرتهم، بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

ثانيا : صور المخطوطين المعتمدين

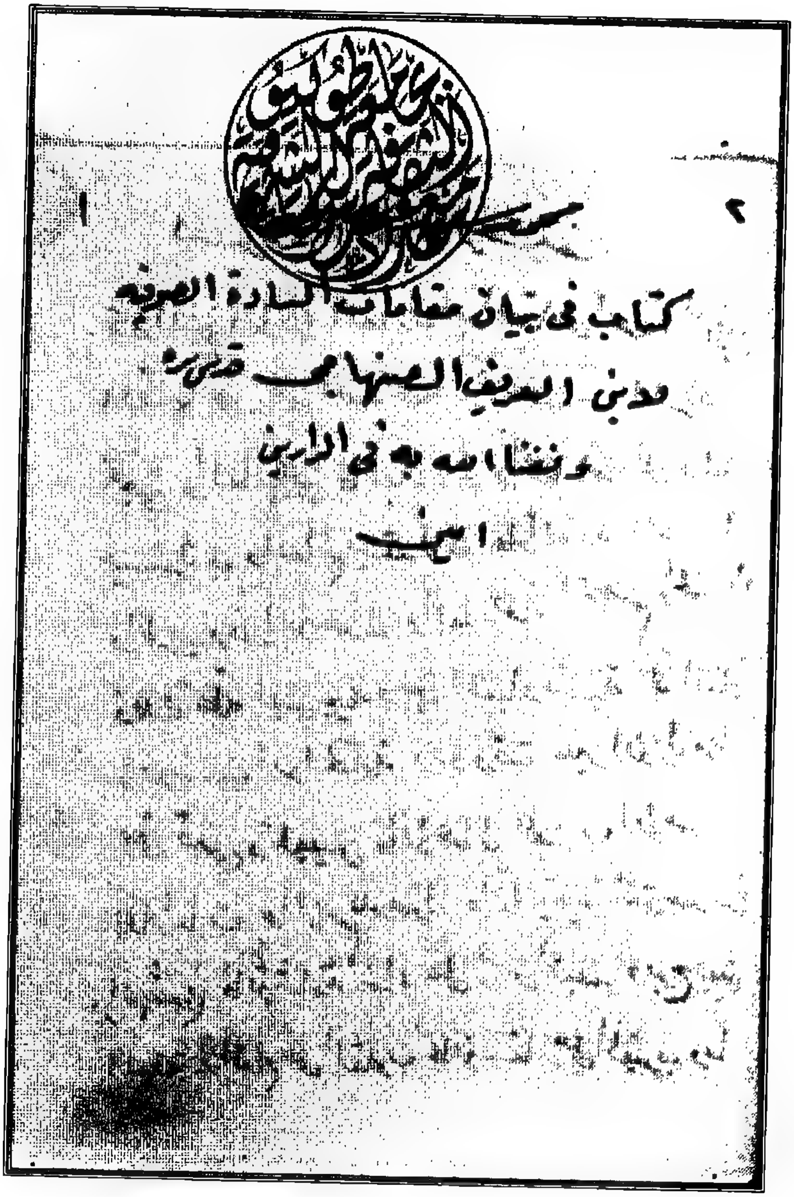

كتاب في بيان مقامات السادة الصوفية
محمد بن العريف الصنهاجي قدس سره
ونفعنا الله به في الدارين
آمين

الصفحة الأولى والثانية من المخطوط ـ ب ـ

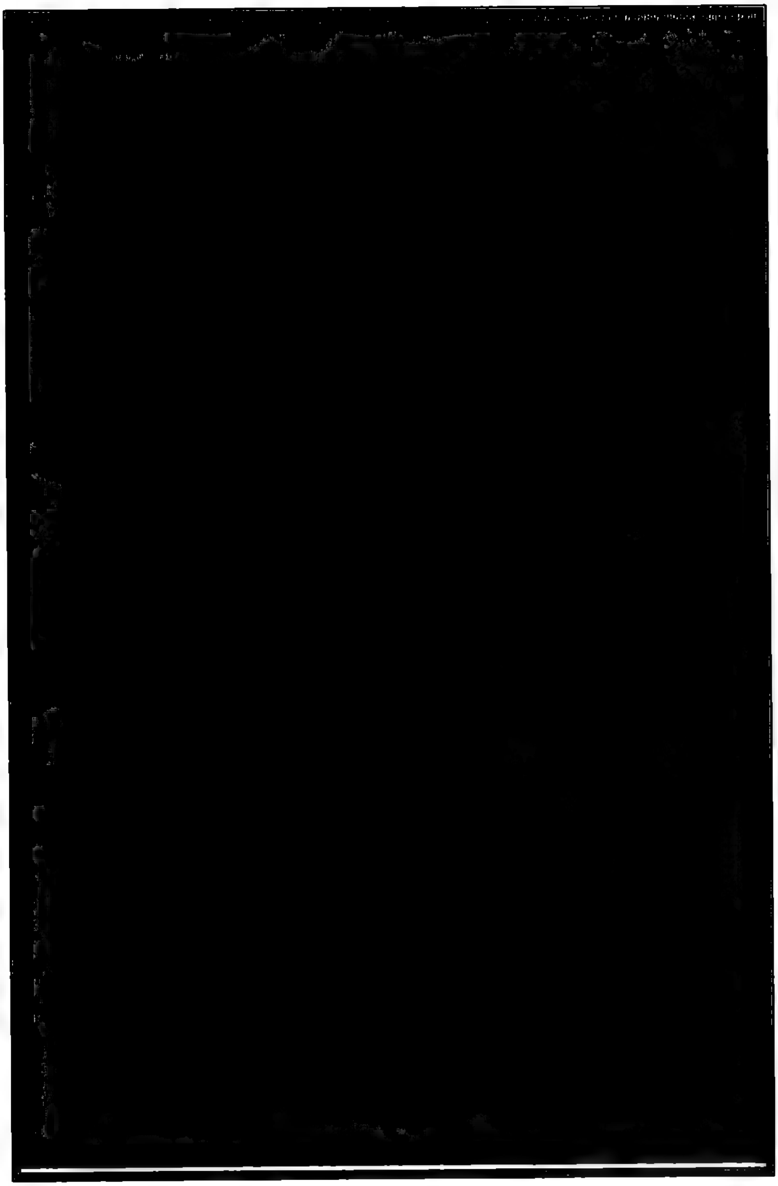

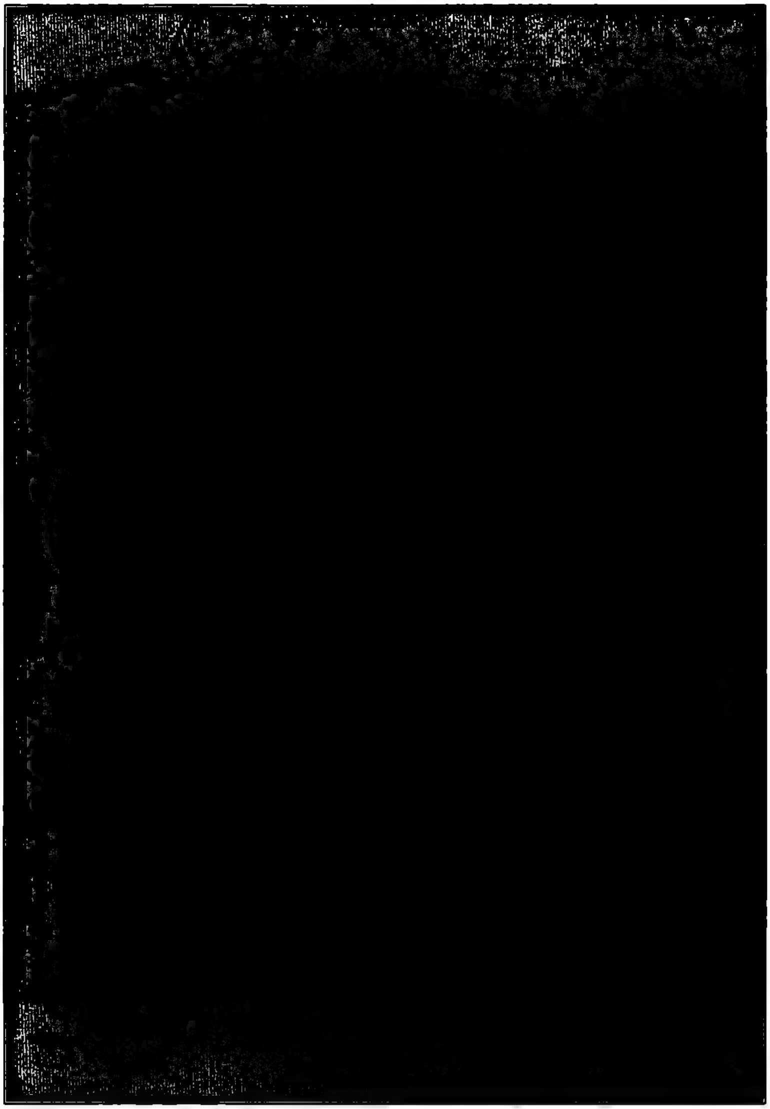

الصفحتان الأخيرتان من المخطوط ـ ب ـ

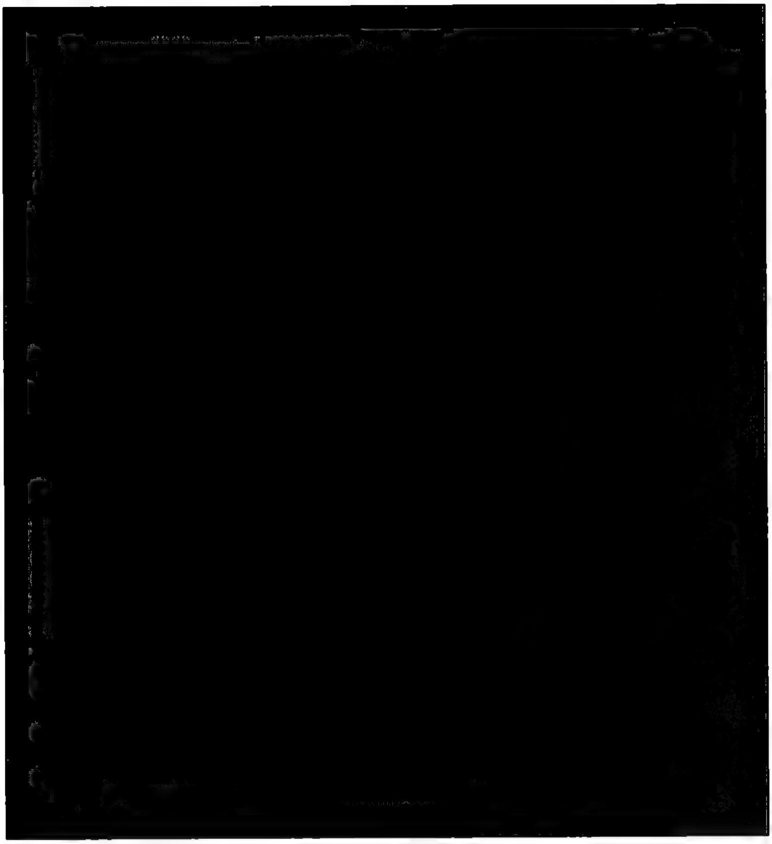

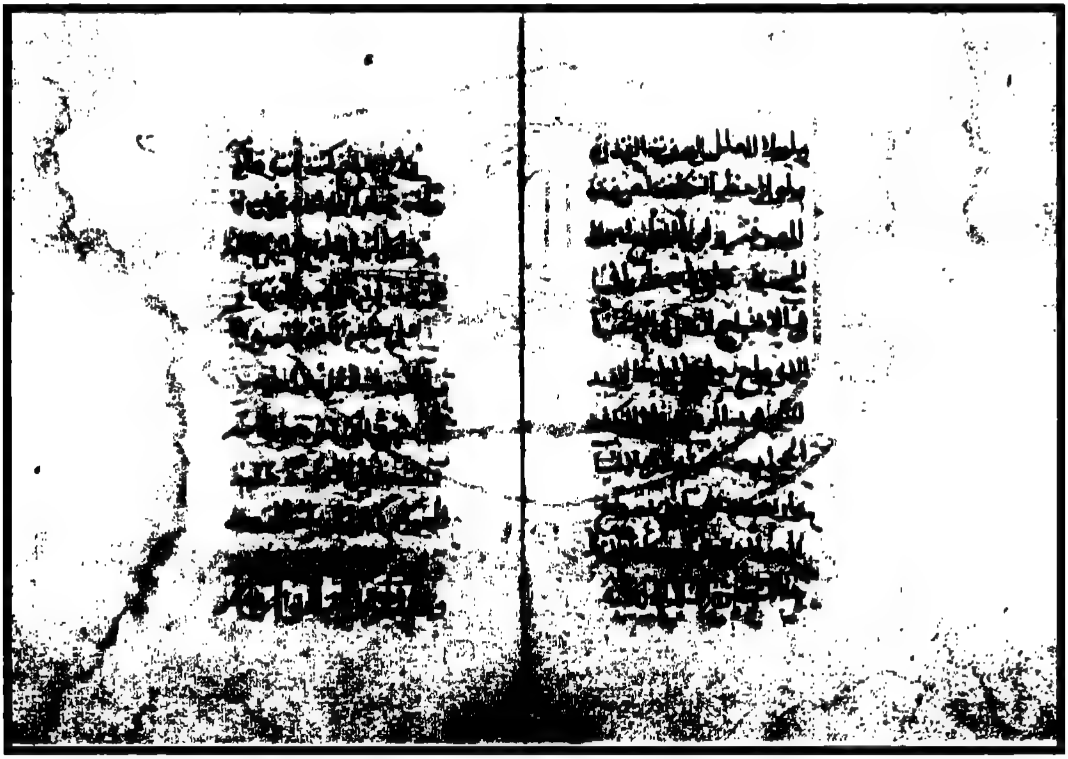

الصفحات الأولى من المخطوط ـ م ـ

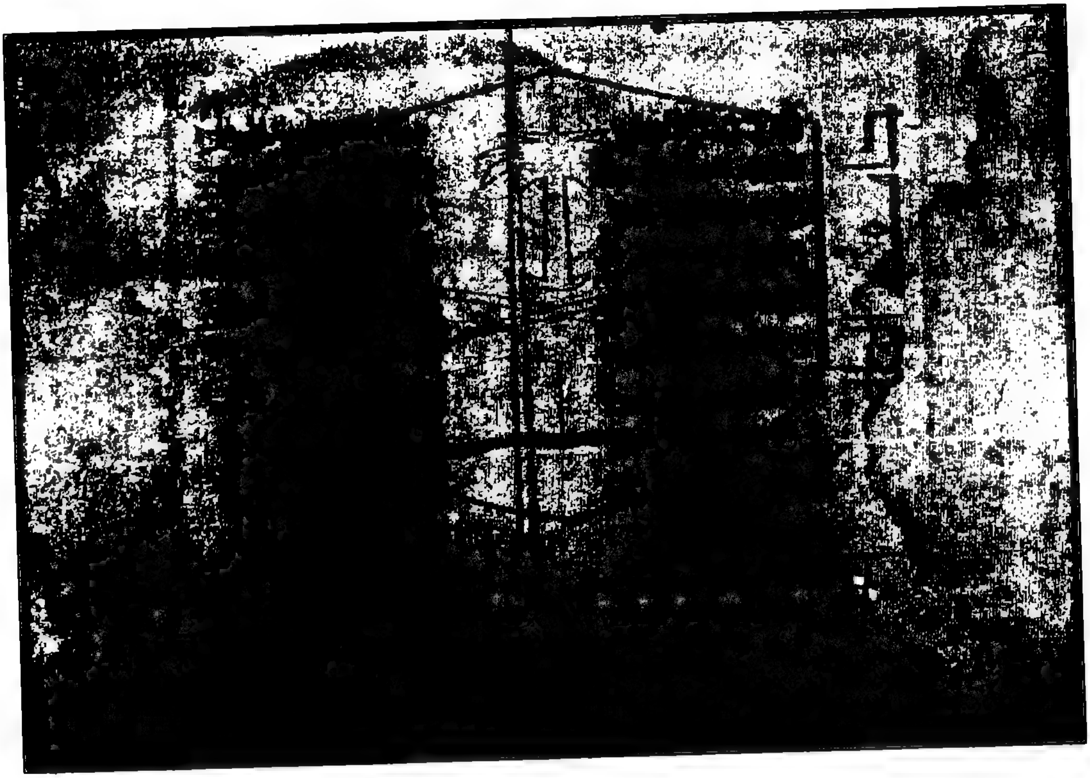

الصفحات الأخيرة من المخطوط ـ م ـ

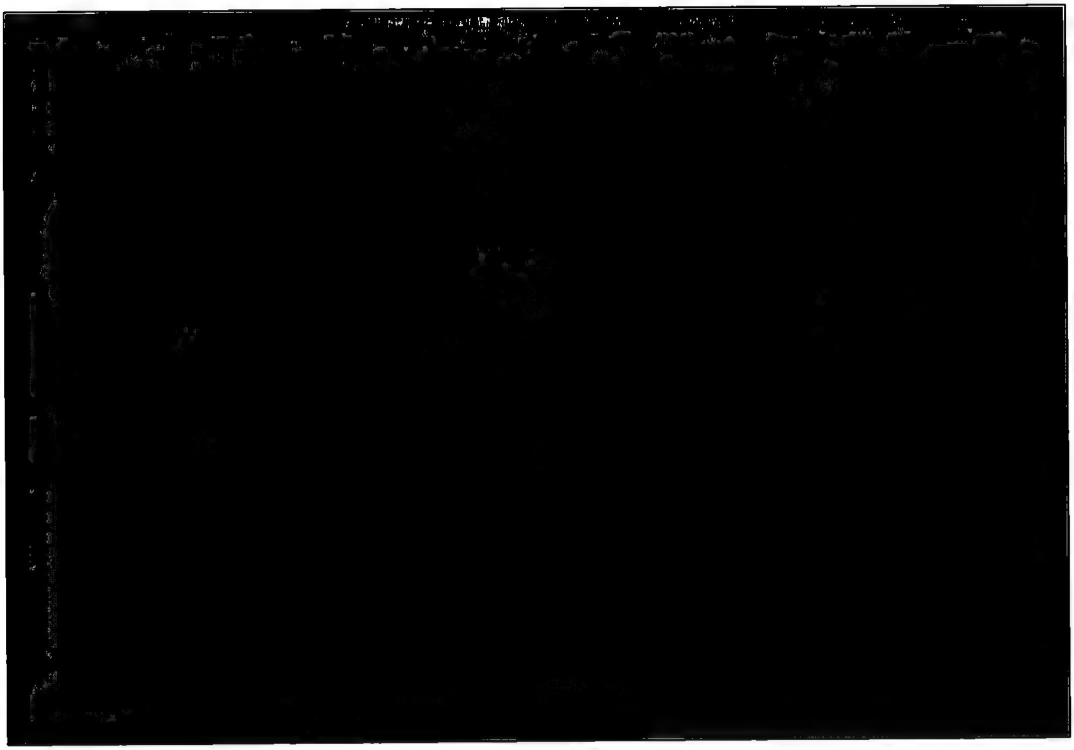

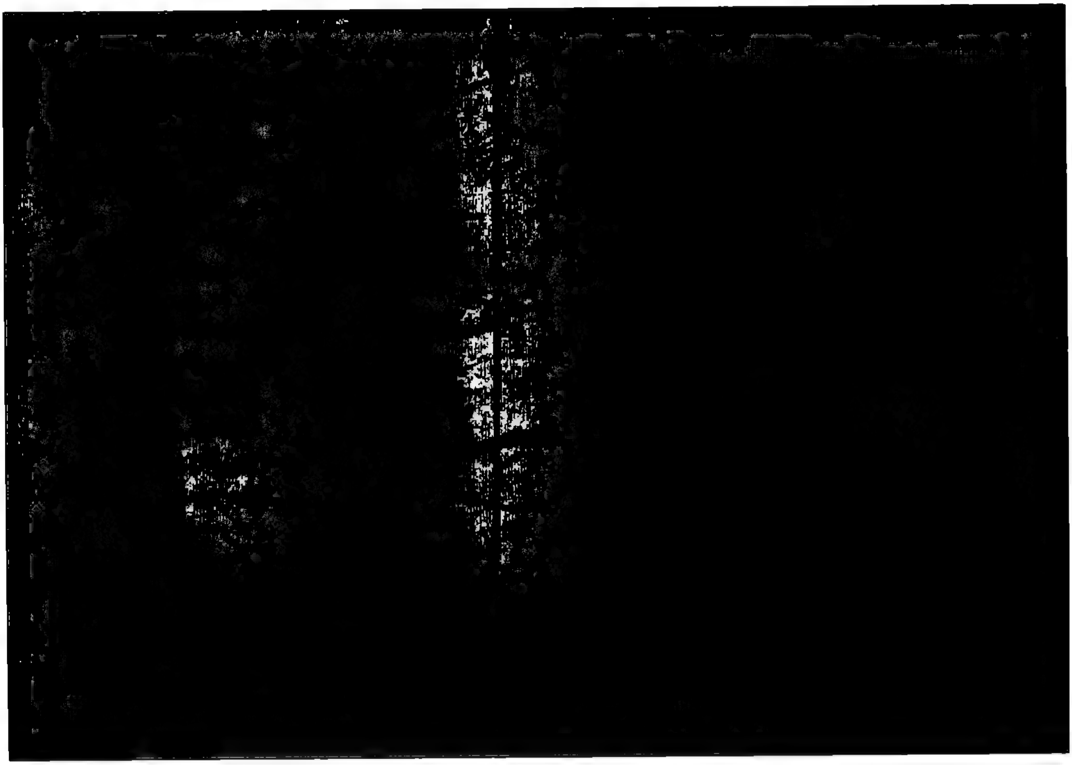

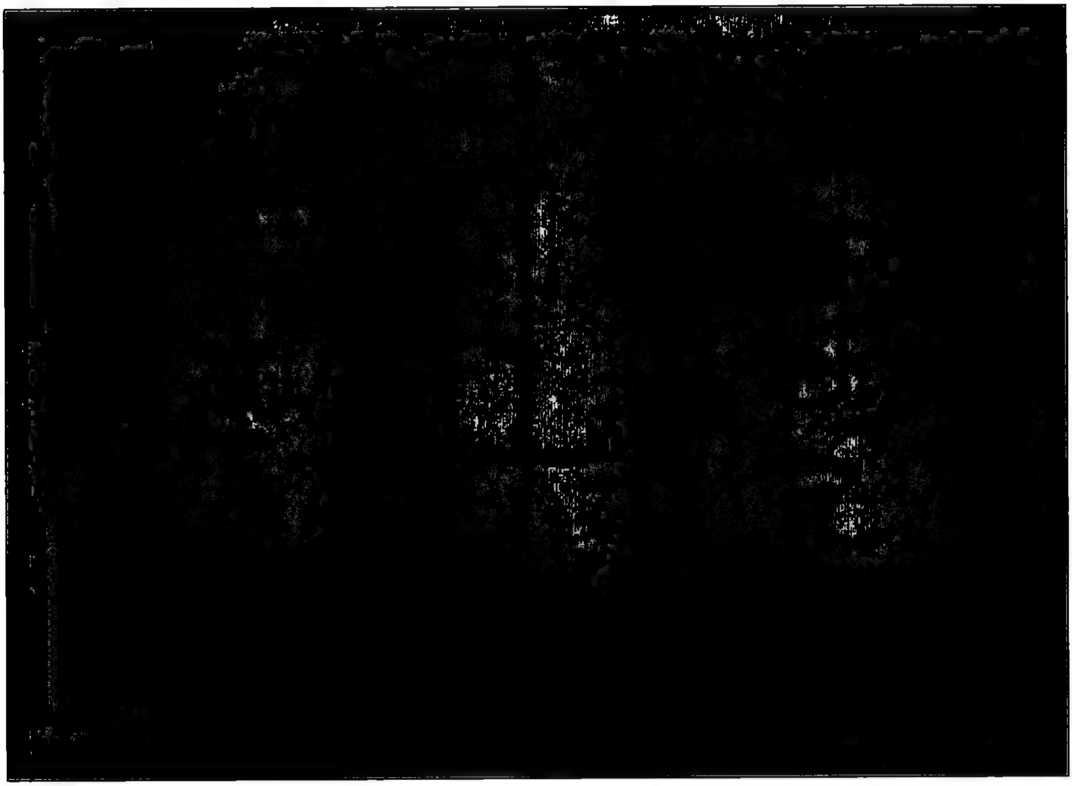

ثالثا : ملحقـــات

ثالثا : ملحقــــات

I ـ ملحق خاص بالسند الصوفي لابن العريف وتأثير مدرسته على التصوف المغربي

II ـ ملحق خاص ببعض الرسائل من وإلى ابن العريف

III ـ ملحق خاص بالنصوص التي تشير إلى ابن العريف ولآرائه ونظراته الصوفية في الفتوحات المكية للشيخ الأكبر

IV ـ ملحق خاص ببعض أشعاره

I : الملحق الأول

أ) السند الصوفي لابن العريف

وتلقيه المؤكد الثابت عن الأشياخ الآتية أسماؤهم وفق المخطط. [1]

الحسن البصري

↓

هشام بن حسان

↓

الفيصل بن عياض

↓

أبو القاسم سالم بن عبد الله الخرساني

↓

أبوالقاسم سالم بن عبدالله الخرساني

↓

أبوسعيد بن الأعرابي (تلميذ الجنيد)

↓

أبو الحسن بن عبد الله الجرجاني

↓

أبوعمر أحمد بن عون الله

↓

أبوعمر أحمد الطلمنكي

↓

أبوبكرعبد الباقي بن محمد بن بريال الحجازي

↓

أحمد ابن العريف

---

(1) أنظر في ذلك «العباس بن ابراهيم» : «الاعلام بمن حل من الأعلام، ج2، ص19.

ب) مخطط عن الطريق الذي سلكته آراء مدرسة الأليمرية الصوفية الأندلسية إلى المغرب وأثرت في بعض مفكريه المهتمين بالثقافة الصوفية.(1)

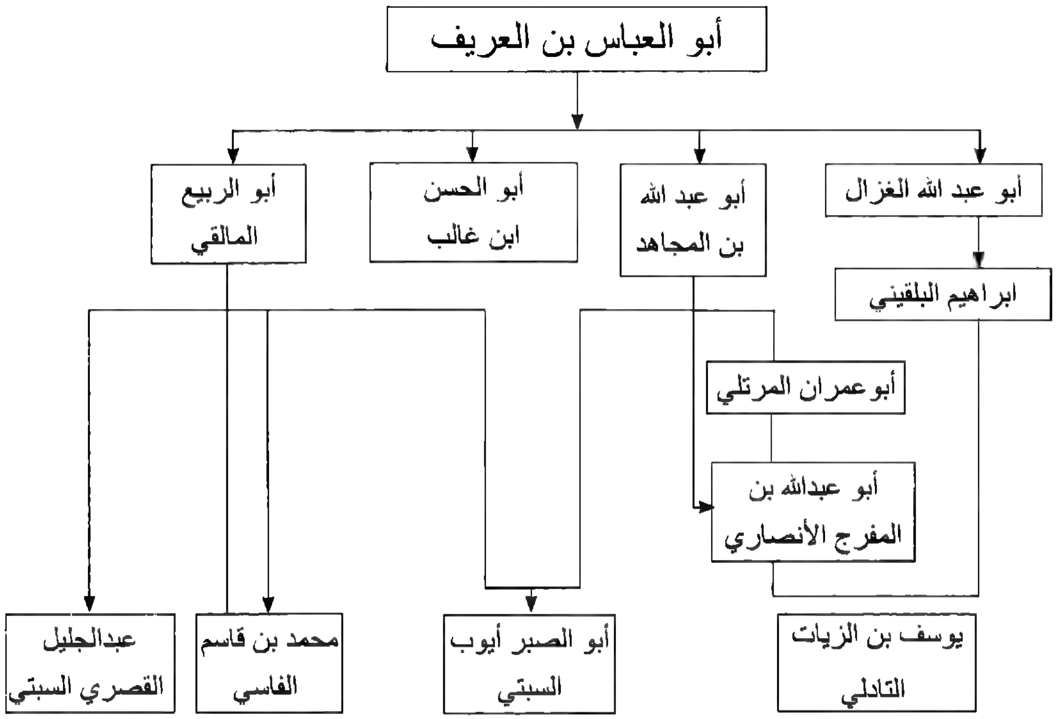

(1) أنظر في ذلك «المدارس الصوفية المغربية والأندلسية» : د. عبد السلام غرميني ص484،ط1، دار الرشاد الحديثة 2000

الملحق الثاني : II

بعض الرسائل من وإلى ابن العريف

أـ بعض رسائله إلى أبي الحكم بن برجان :

1 ـ « الفقيه الفاضل أبو الحكم كبيرى ..، أدام الله توفيقه، معظم حقه البرُّ به، أحمد ابن محمد، من لو وجد سبيلا لاتخذ في ذلك الكنف مقيلا. وإن قرب عملا لما صنيعه أملا، ولأمره ما أقام الباري سبحانه صحيح النية في كل الجهات صحيح العمل. ولله الحمد والشكر على كل النعم، باطنا وظاهرا، عني وعن كل شيء. وأعوذ بالله من نعمة في طيها مكر، ونعم المعاذ من كل مكروه».[1]

2 ـ « الله ولي الشيخ الفاضل الإمام أبي الحكم وحافظه من البرية وليه في الله تعالى أحمد بن محمد (ابن العريف).

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وقد كان أملي قرب الدار وكر المزار، فمنعت الأقدار، ولا أدري أفي طيها الأعذار أم الأوزار، والرب يعلم ما يفعل ويعفو عن كثير.

شكايتي التي شكوتها إلى الشيخ الإمام قديما بحالها، وأعجب شيء فيها أني عرفت الداء والدواء منذ أربعين سنة أو نحوها، فما توانيت ولاتداويت، فالأحوال في الظواهر مجتمعة والأعذار في الحقيقة منقطعة.

---

(1) كتاب «مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة» تأليف «ابن العريف» جمعه «أبوبكر عتيق بن مؤمن» تحقيق «د.عصمت دندش» ط1، دار الغرب الإسلامي 1993، ص 108.

فأرغب أن لا أخلو من بال الشيخ ودعائه في توبة صالحة صادقة، وفراغ لإقامة غرض شافع نافع. فتح الله لي في مبرتك ونفعني بمعرفتك ومحبتك برحمته». [1]

« ... اللهم صل حقيقة وجود الشيخ إمامي وكبيري، بوجود حقيقة المعرفة بك والتعرف منك. واجعله لمعالم طهارات النفوس زماما، ولأعلام الهوايات إماما، وبارك به وعليه بالبركة التي بدايتها من محمد صلوات الله عليه، ونهايتها إليه.

كان من همي أن يصل كتاب الشيخ واحدي نظرا، ومتقدميه تسليما ومعتبراً، بما يتحرك له حامل براهين السمع مني حركة تحول بين النفس وهواها،وتورثها الحياة من مولاها؛ فوصل من ذلك دعاؤه وكتابه وخطه وإعلامه بالمحبة والمودة لي.

وكل ذلك من آثار ما سألته، جل اسمه، ولم يكن عينه، فإني كنت آمل إشارة من إشاراته علمية أو عملية.

ولقد أشكل إشكالا باب من قبول البيان تفصيلا وإجمالا : كيف يداوي السكران أو يُداوى وسكره غالبه، وقد غفل صديقه واستيقظ مطالبه ؟.

اللهم إنها الحيرة من ضعيف لا عذر فيه، وجود لاقدرة عليه بالحكم إلا لضعيف مغرور.

اللهم يسترك لطافح السكر من حب الدنيا، مَيِّتَ الحقيقة عن رؤية مشاهد الأخرى، ليس له سواك رب يتولاه، ولا يجد من الجوارح إلا ما ملاه وغلبه هواه.

فإذا أزعجك إليك ماعندك من الجود، أزعجك عنك ماعنده من قبيح الوجود، فارحم وتجاوز عما تعلم. وافتح قلوبا قاسية بمفاتيح العناية فتحا تنظر به إليك ونستحي به منك.

وأنت يا إمامي برحمة الشيب اذكرني إذا رقدت عند من له رقدت، أَحَبَّكَ الذي أحببتني له.

والسلام مُعاد مكرر عليك، ورحمة الله وبركاته». [2]

---

(1) نفس المصدر، ص : 108-109

(2) نفس المصدر، ص : 109-110

ب ـ بعض رسائله إلى أبي الحسن بن غالب :

1- بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على ختم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأزواجه الطاهرات، أمهات المؤمنين، وعلى السلف الصالح أجمعين، وعلى المتبعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد سلام على أخي أبي الحسن بن غالب رحمه الله وبركاته وعلى أهل بيته، إنه حميد مجيد.

... الناس في الدنيا إما محمول على كاهل الغفلة يرجى له التوفيق فيما بقي له من الطريق. وإما منظور إليه بعين العناية، ولا من أهل الدنيا فيستريح، فلا تكن ياأخي كذلك، واعلم أنه لا مطية إلى درك الحقائق والتقصي من شرك العلائق كالهم الصادق والحزن المتناسق. ولا أعلم أوحش من قلب فارغ من ذكر الله سبحانه، وأنا ذاك. فادع الله لنفسك ولأخيك ما استطعت، فإن المظاهر تنسلخ بانسلاخ الظاهر وهي الدنيا. وتبقى الحقيقة ببقاء الحقيقة وهي الآخرة، دار ﴿**الحيوان لو كانوا يعلمون**﴾. [1] ... ». [2]

2- « ... لا فرق بين الشكوى إليه والشكوى إلى من أمر به وحَظّى عليه، وإن أخاك لمتلذذ في السفلى، متردد حول السؤال. أجهل الناس بقدره، وأمثنهم بطوية صدره، لا مع الباكين في مواقف الأحزان، ولا مع اللاهين في مواقع الأنس.

بعدت أنباؤك عنه، فوحشه بك طويلة، ولم يدر كيف حالك وحال إخوتك فمسرته قليلة وكلية، ما أشبه الليلة عنده بالبارحة، وأقرب اليوم من غذ. فبالذي لك أسأله أسألك لا يمنعك من المخاطبة إلا مانع ضرورة، وأجعل من همك معنى كتابي في السالف؛ الذي لم يكن عليه جواب. وكنت في عام تسعة وعشرين (وخمسمائة) لم يصل إلينا في وجهه المشرق محبور بأنس، ولا محبور بطيبة نفس. فترادف الكرب

---

(1) العنكبوت، ص : 64

(2) مفتاح السعادة، ص : 111-112

حتى فتح الله سبحانه بأبي موسي [1] أخينا «وابن أبي موسى»، فكان بسط، نفعه الله ونفع به.

أخوك اليوم تلف، وتساوي عنده ماجهل وماعرف. وعقد على لسانه عقدة من ورائها تقف الحكمة، ومن دونها تطرد ينابيع غير العصمة. وأعجز الناس من استبكاه أخوه فرقد، وأعجز منه من استبكى وقعد. ولاحول ولاقوة إلا بالله، ولاعذر لمن ولى عن الذكر وجفاه ... » [2]

3- «... سمعت القاضي أبا علي الحسين بن محمد الصدفي [3] رحمه الله يقول : قال بعض العارفين : الحكايات جند الله، يثبت بها قلوب العارفين.

قيل له : فهل لذلك شاهد من كتاب الله ؟ فقال : نعم : ﴿ **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** ﴾ [4]

... إذا بطنت الحكمة خصت أهلها فدامت ونفعت، وإذا فشت وظهرت عموما، أنكرها من ليس من أهلها فانقطعت وارتخت.

وفيما ظهر من الحجة كفاية لتعرف المحجة وما بطن من الذكر موقوف على خصوص أهل البر، عمل الخواص [5] ثلاثين سنة في تطبيب قلوب الخلق للفقراء. يريد أنه أدى إلى كل ذي حق حقه، وترك لكل أحد ما كان له قبله من حق. ووافق الحق لكل شيء من ظاهره وباطنه، ولم يخالف مخلوقا في ظاهر سلمه العلم وسامحته السنة ... » [6]

---

(1) لعله هو ابن مسندي الأندلسي، أورده الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء. ج 20 رقم 86 ص :133

(2) مفتاح السعادة، ص :112-113

(3) وهو من أهل سرقسطة سكن مرسية، من علماء الحديث استشهد في وقعة قتندة سنة 514م. (ابن باشكول، الصلة رقم 330 ص 143

(4) هود : 120

(5) هو الشيخ ابراهيم بن أحمد اسماعيل أبو اسحاق، وهو من أقران الجنيد والنوري (ت 291هـ)

(6) مفتاح السعادة، ص 119 و 122.

4 - «...لو أن الأرض تطهرت من الجنايات على الدين وأهله لكانت جنة. ما من نفس على وجه الأرض إلا وهي مسلطة على المومن بضرب من التسليط، مسخرة له بوجه من التسخير، وعن روية نعمة التسخير فقد رقد عقله، ومن رقد عقله لعب عدوه به كيف شاء. والعبد سلطان نفسه عليه، هو سبب كل نفس عليه من جهتها يتصل إليه، فمن صدق في مجاهدتها حتى خافت، خافه كل ما وراءها من نفس.

فليكن همك نفسك لا ما ورءها. فإن الظفر بها ممكن والفوز مبذول. وإن الله لم يخوف بالسيف إلا كافراً، ولا بالسوط إلا فاجراً فإن لم تكتمهما فلا تخافهما.

والسلام عليكم ورحمة الله» [1]

ج - بعض رسائله إلى «أبي الحسن سيد المالفي» [2] حين سجن

«...سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته في وقت ضاق عن تفسير ما تظنه النفس من تأنيس لك، وتنفيس لك بك، فإن عجزي عن نفسي عرفني أني عن غيرتي أعجز، إلا ظنونا تجوز ولكن لن تجوز. ولو عرفت حقيقة حالي ما أنست إلى معرفتي بحالك، فإن المشاهد بحاله تكفيه أحزانه برعاية مالانجاة لي إلا برعايته، لكان رسمي رسم إخواني في حمايته وكفايته. ولكن سال سيل الفتنة ونحن طريقه، وغشى ليل المحنة وفينا فريقه، وانخسفت الأرض، وفيها المسيء والبريء فعمهم الله بالعدل في جاء، ويخص خاصتهم الفضل في يجيء حين يبعثون على نياتهم، ويحاسبون بخصائص حالاتهم. وإلى الله سبحانه الضراعة، ولرسوله (ص) الشفاعة، أن يكشف الأسوأ كشفاً يُميتُ الأهواء بكرمه وجوده.

وإني فكرت في السجن والمسجونين، فإذا هم طبقات وأُمَمٌ مفترقات. فمن قائل: ﴿أَنَّى يُحْيِي اللَّهُ هَذِهِ بَعْدَ مَوْتِهَا. فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ. قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ...﴾ [3]

(1) مفتاح السعادة، ص : 138

(2) هو عبد الله بن ابراهيم، كان شيخا صالحاً وصاحب كرامات، كما كان إمام الصوفية ببلده. (ابن الزبير : صلة الصلة رقم 185 ص 92)

(3) البقرة، ص : 259

وإنما سأل سؤالا فوقف مائة عام أدباً ونكالا، ثم لما بُعث بُدِىءَ بالتوبيخ المبين، وعرف من أين مدرك العلم واليقين، وتلك علامة الحق سبحانه.

وقال آخرون : ﴿**إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها**﴾.[1] فقيل بـ : ﴿**إنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض** ﴾.[2]

ولقد كان جفاؤهم أظهر، فكان أمد عقابهم أقصر. وقال «الصديق» صلوات الله على نبينا وعليه : ﴿**أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين**﴾.[3]

وإنما قصد مباحاً فسجن في سجنه وكان قبل ذلك سراجاً. وأما «يونس» عليه السلام فـ : ﴿**أبق إلى الفلك المشحون**﴾.[4] فسجنته القدرة في أعجب السجون، فاتصل حزنه لله تعالى في الرجاء بحزنه له في البلاء فاستنقذاه من ألم البحر وأذاه : ﴿**فلولا أنه كان من المسبحين. للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**﴾.[5]، ﴿**فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾.[6] فكان في ندائه نجاته من الغم والأنين ونجاة كافة المؤمنين.

في بعض سير الملوك السالفة، كانوا إذا سجنوا عاقلا قرنوا به جاهلا وقالوا : إنما السجن سجن الأرواح لا سجن الأشباح، فلا أدري من أي الفرق أنت فأهنيك أو أعزيك. وظني أنه لو سجن خواطرك الوزن والحزن لتبرأ منك السجن والسجان، وقد يؤخذ الجار بجاره إذا عرف ولم ينكر كما ينبغي شؤم جواره، عصمك الله من الخفيات التي في طيها أو في غيها مناكرة حق أو محق ومساعده باطل أو

---

(1) المائدة : 24

(2) المائدة، ص 26

(3) يوسف : 42

(4) الصافات : 140

(5) الصافات : 143، 144

(6) الأنبياء : 87

مبطل، وإياي وكافة إخواننا المسلمين برحمته ورأفته سنن الله في بلاده تنتهي إلى العمارات والخراب، وفي عبادة تدور على الثواب والعقاب. فلا تبطل سنة لله حق بسنة حق، فتعمل في السراب. وإذا مضت سنة الله عنه في شيء لم يجد لها تبديلا ولا تحويلا، ومن عرف أن العاقبة سِرٌّ من أسرار الحق، لم يتحكم فيها عملاً ولا قيلاً، ومن انكشف له الصواب رآه أحسن تفسيراً وتأويلاً.

... وعليك بحسن التأويل، وتكلف ما يوافق السنة من الظن الجميل. يسر الله إن كان سجنك سراحك، وتكفل لك ولإخوانك تكفل العناية بكم صلاحك بطوله.

والسلام المعاد على جميعكم ورحمة الله وبركاته».[1]

(1) مفتاح السعادة، ص : 182

رسالته إلى محمد بن الكبش :

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين وسلم تسليما.

سلام عليك ياأخي ورحمة الله وبركاته.

بلغني ياأخي أن الله سبحانه كشف لك عن عالم تهتدي بأنواره، وتقتدي بآثاره فتحاً ـ يفتح الله لك بذلك من غير طلب ولا عن تعب ونصب إلا رحمة من الرحمن الرحيم، تولاك بها عناية بمن أراد، وإنفاذاً من مشيئته لما أراد، فهنيئاً لك رؤية العلماء بالله ولقاؤهم، أوزع الله شكر ما أنعم به عليك وعرفك الزيادة في كل دالٍ منه بعزته.

وأنت يا أخي ! فلو كشف لك عن سري وعاينت ضراعتي في لقاء عالم بالله يعلمني مما علمه الله ليكشف لي ! فسألتك بوجه الله العظيم وبحقه الكريم ألا ما ذكرتني عند عالمك !، فإن انتهرك بسقوطي من عيون العلماء فلا يمنعك ذلك من المعاودة عليه في شأني، والإلحاح في أمري فإن الصديقين قلوبهم رقيقة، وأطماعهم بوصول رحمة الله إلى المقصرين متعلقة وإن أغلظوا في القول، ولا تدع الرغبة في حالي حتى يصل إلي من العلماء بالله من يعلمني. عزيمة عزمتها عليك بوجه الله العظيم، وبأخوة الإسلام والمرغوب الله على الحقيقة، هو الحق لا إله إلا هو.

رسالته إلى : محمد بن الحاج اللورقي[1] رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله على نعمة الإسلام حمداً على الكمال والتمام كما ينبغي لوجه ذي الجلال والإكرام، ثم الصلاة على سيد الأنام وآله الكرام، صلاة فوق الأفهام والأوهام.

ورد كتابك السار البار ـ نفعك الله به وجعله نوراً بين يديك تجده يوم لا يكون إلا صالح العمل حبيباً لك ـ وإني أحمد الله إلى من سمع حمد من فرق بعدما جمع، وأبعد بعدما أسعد، وما عسى أن يصنع العبد قيد في رأيه فاستأثر سيده بقوى أربه، وإن أخاك لأقل حقيقة من أن يستنذر، أو يجني فيعتذر، أو يرضى فيعذر. فإن كنت ممن ترضيه المحامد جاءت فرافق العدم، ومحل الندم.

فيا فرصتي لسموك ونموك، وبما لله من النكايات لك في عدوك، ومع ذلك ياأخي فإن التقوى عند الغافل كلام، وعند العاقل ذمام. ومن لم تشهد له الحقيقة خاب، ومن نالها غاب، ومن انصرف صرف، ومن تعرف عرف، ومن لم يميز شأنه وزمانه ملك الباطل عنانه ومن لم يكن الكلب خيراً منه عند نفسه، فهو خير منه في الحقيقة، واستعن بالله فإنه لا يبقى أحد سواه.

والسلام المعاد عليك وعلى قرة عيني بنيك وإخوانك ورحمة الله وبركاته.

---

(1) هو عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المعافري، أبو محمد بن الحاج ذو الوزارتين من أهل لورقة وسكن مرسية، برع في الأدب وكانت بضاعته وصناعته، واستدعي في سنة 528هـ للكتابة بحضرة مراكش فنهض إليها وانتهض بما حمل ثم استعفى فأعفي وانصرف إلى مرسية هاجراً خدمة الأمراء ومواصلا صحبة الفقراء زاهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة وجعل يؤذن في مسجده. ولما اختلت دولة المرابطين بقرطبة ولاه أهل مرسية أمرهم فدعا لابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة أياماً من شهري رمضان وشوال من 539 هـ التي كثر بها الثوار.

ابن الأبار : المعجم، رقم 214 ص233 وانظر عن ثورة المريدين كتاب الأندلس في نهاية المرابطين.

رسالته إلى : أبي علي منصور المبتلي بقرطبة جبرها الله

الله ولي أخي في الله تعالى أبي على منصور وحافظه.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله على محمد وعلى آله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يا أخي عفا الله عنا وعافاك، وغفر لنا ورحمنا أحياء وأموات رحمة ترفع غضبه ومكره، وتوجب رضاه وبره، وتكون لنا عصمة في حالتي الغفلة واليقظة، وصلة منه لدينا، تستر من وراءنا من الحفظة، وعمم إخواننا المسلمين بجميل اللطف وجزيل العطف برأفته ومنته.

ورد كتابك، وعرفت محبتك، وحققت مودتك، بما نقل إلي موصل كتابك من حسن بلاء الله لديك، وصفاء حنانه عليك. وسأحدثك حديثا أرجو بركة وصوله إليك : كان بالغرب عمره الله بالإسلام رجل يدعى أبا الخيار [1] رحمه الله ونفعنا بذكره، أصله صقلية وموطنه بغداد، وجاوز سنه التسعين وهو في الرق، لم يعتقه مولاه وذلك عن قصد منه واختيار، وعمم جسده الجذام ورائحة المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال لي الذي حدثني : رأيته يصلي على الماء. قال : ثم لقيت بعده محمد الأستجي فإذا هو أبرص، فقلت له يا سيدي كأن الله سبحانه لم يجد للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم، وأنتم خاصة أوليائه، فقال : اسكت لا تقل كذلك إنه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله شيئا أشرف ولا أقرب إليه من البلاء، فسألناه إياه، كيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد، وإمام الأولياء والأوتاد في غار بأرض طرسوس وجباله لحمه يتناثر وجسده يسيل قيحا وصديدا، وقد أحاط به

---

(1) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الحميدي قرطبي استجي الأصل أبو محمد، سكن مالقة وكان مقرئا مجودا فاضلا صالحا عفيفا دينا محدثا واسع الرواية، ولي الخطابة والصلاة بجامع مالقة إلى أن توفي 577هـ. ابن عبد الملك.م.س، سفر 6، ص 100 ص 52،51.

الذباب والدود والنمل ؟ فإذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما أعطاه من الرحمة، وأسكن جسده من العافية، حتى يشد نفسه بالحديد ويستقبل القبلة عامة الليل حتى يطلع الفجر ؟ فأولئك بكرم الله وجوده يا منصور إخوانك في دار الصدق، ونحن خدمتكم إن فزنا بشيء من رضى الحق.

والسلام المعاد عليكم ورحمة الله وبركاته.

رسالته إلى : أبي خالد بن عبد الجبار القرشي [1] رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى أزواجه ودريته وصحابته.

سلام عليكم يا أخي وسيدي ورحمة الله وبركاته. وأسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يشرح بأنوار الهداية صدرك، ويرفع في أعلام الديانة قدرك، وأن يجعلك من أئمة المتقين، ويكتبك في أول زمرة الفائزين السابقين، إنه الواسع الرحمة للعالمين.

ورد كتابك بعافيتك وسلامتك، نفعك الله بهما وأوزعك شكرهما. وقبل وروده بأيام ضاق صدري حتى هممت بالخروج إليكم، فأكون عندكم في مدة الصيف ثم أنصرف إن كانت حياة، وسبب ضيق صدري، ترادف همي بحالي وأنها لاتزال في نقصان، وتوهمت أن ذلك بسبب قعودي للصبيان، وكثرة رؤيتي لمن عرفني قديما وعرفته، ثم تحققت إشفاق والدتي ـ رحم الله ضعفها ومثواها ـ لسفري، فأمسكت. وحتى الآن لا أدري ما يتفق لي من ذلك فيما بقي من هذا الصيف، فإن النية لم تفتر كل الفتور، وجعل الله لنا الخيرة في كل ما قصدناه من عمل عملناه، أو ترك تركناه بمنه.

أَبَتْ وَحْشَتي اتّصالاً وَشِدة ... لِبَيْنِكم والبَيْنُ يَكْدَح في الصَّدْرِ

وَكَادَ فُؤَادِي أَنْ يَطِيرَ بِجُمْلَةٍ ... إِلَيْكُمْ وَلَكِن لا خِيَارَ مَعَ القَسْرِ

سُقِيتُم بماءِ الصّدْقِ مِنْ مَشْرَبِ العُلا ... وَمُتِّعْتُمْ بالأُنْسِ في كَنَفِ البِرِّ

لَعَلَّ امرءٍ فاتته راحة قَلْبِه ... إِذَا نَالَها أَحْبَابَهُ سَرَّ بالأَمْرِ

وإنما أسأل الله أن يحوطك بكل الجهات في المحيا والممات، وأن يعلي شأنك في الصالحين، والحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على محمد خاتم النبيين، والسلام عليك أخي وسيدي، وعلى كل من يجالسك أو يحبك ورحمة الله وبركاته.

---

(1) وهو أبو خالد يزيد بن عبد الجبار المرواني القرشي الذي تتلمذ عليه عدد كبير من طلبة العلم منهم ابن العريف. (ابن الأبار : التكملة ج 2، رقم 2/06 ص 742 هجرية 1887.

وسرني كل ماضمنته كتابك، نفع الله الجميع بعونه وقدرته. عرفت إن شاء الله فالزم، ولكن لا بد من رؤية عالم وصحبته، دل عليه الكتاب والسنة والقدرة، وأوجبه البرهان والحكمة. وإنما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله وسنة رسوله في الصدور لا في الصحف، حتى كان العلماء يسمون صاحب علم الصحف صحفيا يعيبونه به.

نفعك الله بالجد، وكتبك في أهله، وجعل القلوب التي عمها رضوانه تحرص عليك وتشتاق إليك بمنه.

رسالته إلى : أبي بكر عياش [1] رحمه الله ورضي عنه

الله ولي أبي بكر وحافظه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم وعلى آله وسلم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقفت على كتابك ـ نور الله قلبك ـ وكشف بسلطان الفهم عنه كربك وإن الله سبحانه لا يسأل عما يفعل، جعل العبد في هذه الدار في موضع الاضطرار، في محل الاختيار، وبلاه بالخير والشر فتنة، ولقيام حجة الاختيار، وقد انتهى إليك من ذكري ما جمله ستر الله عز وجل ورداء، عافية، ولو كشف وعرف لمحق أو تلف، فلله الحمد على نعمه المسبلة وعوافيه المكملة، وعليه التكلان في إجابة الضعفاء المضطرين، ورحمة الله للفقراء المغترين، فإنه ولي من لا ولي له، بعزيز سلطانه، وواسع إحسانه لا رب غيره ولا خير إلا خيره.

ويا أخي ـ بأخوة قديم الإسلام وجديد الزمام ـ كان عندنا رجل من الجند جديد العزة، شديد الغيرة، إذا أخذ أهله بآداب الإسلام، أطال الشوط ووضع السيف والسوط، وغفل عن قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : ﴿**يسروا ولا تعسروا**﴾[2] فأوجب ذلك نفارا وعن الحق إدبارا، وصير المناكرة قرارا، ولا بد في كل شيء خالف السنة من ذلك، فاتفق له مرض ألزمه الفراش وأحوجه إلى أهله حاجة الضرورة، فظهر له من شفقتها ورفقها ما حركه إلى التوبة فيها ضيع من حقها، وقيل له : أين العزة والغيرة ؟ فقال : يلبس لكل حالة لبوسها، فنفعه الله بعقله، وبما ظهر من رفقه، وجعل شغله في نفسه دونها، وكان له عمل صالح من صلاة ودعاء، فزال تنكد المرأة به، وتفرغت للنظر إلى أعماله، فنفعه الله بذلك، فكنه فإنه دواء لا بد منه.

والسلام على ولي ورحمة الله وبركاته.

---

(1) هو عياش بن فرج بن عبد الملك بن هارون الأزدي سكن قرطبة وأصله من يابرة يكنى أبا بكر كان معتنيا بالقرآن الكريم وتجويد حروفه حسن الصوت به، متقنا أداءه، ضابطا له، أكتبه بقرطبة زمانا طويلا وأقرأه أيضا بجامعها الأعظم، فتخرج على يده جمهور نبهاتها، وكان يؤم بمسجد أم هشام ويدرس به النحو واللغة، ويجلس يوما في كل جمعة يعظ فيه الناس، وكان صالحا زاهدا متصاونا توفي 540 هـ.

ابن الزبير : م.س. رقم 309 ص 157، ابن عبد الملك : م.س، سفر 5 قسم 2 رقم 883 ص 486.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه جـ 1 ص 1163 العلم، وفي جـ 10 ص 524 الأدب، وأخرجه مسلم في صحيحه جـ 3 ص 1359 في الجهاد.

رسالته إلى : أبي محمد عبد الغفور [1] رحمهم الله

الله ولي الصديق أبي محمد عبد الغفور وحافظه.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وأزواجه وذريته وسلم تسليما.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته عن حال عافية في النفس والأهل ـ والحمد لله رب العالمين ـ ومستطلعا من حالك في ذلك وجميع من لديك من العيال والذرية والإخوة ـ أقرَّ الله عينك بهم برحمته.

يا قرة عيني والله، ومسرة قلبي، وإن كنت لا أعرف أو أعرف، ولا أحسن أن أقوم بواجب ذلك كما ينبغي ـ نفعنا الله بالإسلام، وكتبنا في أهل الكمال من جملته والتمام بعزته، يعجبني في خاصتي وفيمن أحبه أن يبكي العبد خاليا حيث لا يطلع عليه إلا الله وحده لما يرى في نفسه من التقصير ويعرف عندها من العيب الكبير، فيشتغل بحاله عمن سواه، ويلي الإنكار على كافة الخلق من تقلده من الحكام وغيره وتولاه، وله ـ إن شاء الله ـ في سعة العلم أن يعمل بذلك ويراه، ويقال أن إنكار الإنسان بحاله دون مقاله لكبار كبار الصديقين، وبحاله ومقاله جميعا لمن دونه من المتقين، وبالمقال الصادق الذي اجتمعت فيه الأركان الأربعة : العلم الكافي، والرفق الوافي، والعدل الصافي والورع الشافي بفقهاء الصالحين، وإن لم يكن فريضة عين علينا، أن نكون هؤلاء فمن الفضيلة لنا أن لا ننكر حتى نشبه بأعمالهم، ونقارب، ولو بعض المقاربة في أحوالهم، والكمال في الجملة مندوب في الشرع إليه، محروس في كرم الهمم عليه.

---

(1) هو عبد الغفور بن إسماعيل بن خلف السكوني من أهل لبلة يكنى أبا أحمد، روى عن أبي الحكم ابن برجان وأبي العباس بن العريف ورحل إليهما مرارا ولازمهما، وكان من أهل الكرامات وإجابة الدعاء. وكان ذا يسار ينفق في سبيل الله على أهله وسائر الفقراء والضعفاء وتوفي ببلاد الشرق بعد أداء الفريضة، وكانت رحلته إلى المشرق في حدود 540 عند ابتداء فتنة المريدين والفقهاء بالأندلس إذ خرج فارا منها.
ابن الزبير : م. س، رقم 52 ص 37، 38 انظر كتاب الأندلس في نهاية المرابطين عن ثورة المريدين والفقهاء.

فأما الإنكار في العلانية على الحكام فإنه من فساد المنكر وإعلام ركوبه للحرام أو الكراهية، والمختار عند العلماء باتفاق منهم الإمساك عما في إنكاره إياه منكرا آخر مساويا أو أشد، وهذا كله يكلمك به أخوك تكليم المذكِّر لا تكليم [ص 90] المبصر. فليكن من بالك على بركة الله سبحانه.

وإخوانك ما أجمل بهم أن يعرفوا لك حقا : بالسن والعلم والإسلام السابق، وما أجمل بك إن قصروا أن تودهم بالرفق بهم، والإحسان إليهم تألفا وتأليفا، ودفعا بالتي هي أحسن طلبا للأفضل عند الله سبحانه، وتيسيراً لسلوك الطريق إليه على الضعفاء، وذلك بنص الكتاب كما علمت أفضل من اتفاق ملء الأرض ذهبا في سبيل الله عز وجل.

أغلب ظني أن الذي ورد في كتاب أبي الحسن خليل [1] الإشارة إلى معرفة الفقهاء من غيرهم، وقد كتبت في ذلك، نفعك الله، ونفع أبا الحسن خليلا وأقامكما في العلم بأنفعه مقاما جليلا، وجعلكما حجة من حججه في أرضه ودليلا بكرمه.

والسلام عليكما وعلى من يحبكما ورحمة الله وبركاته.

---

(1) هو خليل بن إسماعيل بن خلف بن عبد الله السكوني أخو صاحب الرسالة ويكنى أبا محمد وأبا الحسن، أخذ القراءات ببلده لبلة عن أبي الحسن بن أيوب السليحي، وبإشبيلية عن أبي العباس بن مسلم الدقاق، وأخذ العربية والآداب عن أبي عبد الله بن أبي العافية ورحل إلى قرطبة فأخذ عن أبي القاسم بن النخاس وسمع من أبي محمد بن عتاب وابن مغيث - كان فقيها مشاورا في الأحكام، وولي الصلاة والخطبة ببلده.
ابن الأبار : التكملة، جـ 1 رقم 840 ص 310.

رسالته إلى : أبي الحسن عامر بن الحسن (1) رضي الله عنهما

بعد البسملة وما في معناها :

أما سؤالك عما تقرؤه، فإنه ينبغي أن تعرف أن طريق الحق في الديانة لا يسلكها الواحد إلا وهو شيطان، وطريقه طريق باطل، ولم أجد في شيء أن العبد يتوجه إلى الطريق وحده، فيسلكها وحده، فيبلغ الغاية وحده، والعلم يخالف هذا أيضا، ويستبعده. فلا بد من مسموع من مسؤول عن موضع القدوة في مسائل الظاهر، ومسائل الحقائق جميعا، والمسموع منه إما عالم ! ولست أعرفه فأدلك عليه، وإما صاحب !وهذا يوجد وإن قل، ولك إخوان لا شك عندي في شفقتهم، ورحمتهم، وإرادتهم الخير لأنفسهم وإخوانهم.

فاجعل من اتفق منهم وحضر مرآتك فانظر فيه وجهك، ووجه عملك، فربما فتح الله سبحانه لك من حيث لا تحتسب، واعلم أنه لا أعوان لك من إرادتك على إرادتك، أن تلقى الله سبحانه خاملا غير مذكور، راغبا في صلاح نفسك وصلاح كافة المسلمين، مقبلا على خاصتك، واقفا من العلم عند المشهور والمنصور، معرضا عن الشذوذ والرأي المبهور، وعليك من العلم بما يوجب عملا صالحا، ويصير خلقا حميدا، ويحقق التقوى في أول أحواله، ونهايتها. فإذا كتبت وقرأت كتاب يمن بن رزق (2) أو ما في معناه، وعكفت عليه وتفهمت فيه مع إخوانك واستعنت بالله على كل حال رجوت لك من عون الله سبحانه ما يبلغك ويجوب لك.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(1) هو عامر بن محمد الأنصاري من أهل طليطلة ومسكنه قرطبة ويكنى أبا الحسن، كان من أهل العلم والعمل توفي بقرطبة 540 هـ.

ابن الزبير : م. س، رقم 302 ص 153، ابن الأبار : التكملة رقم 2429 (كوديرا).

(2) كتاب الزهد : ويمن بن رزق يكنى أبا بكر من أهل تطيلة وأصله من قرية قربها وهو من زهاد الأندلس القرن الثالث. ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس رقم 1613 ص 198.

رسالته إلى : أبي القاسم بن قسي [1]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله.

من ولي أبي القاسم بن قسي وحافظه من المكاره.

من وليه في الله تعالى أحمد بن محمد.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اللهم إنا نسألك من بركات العلم والعمل ما يوصل إلى الجانب الأكمل، ونعوذ بك من التفريق بعد البداية والنهاية في مدارج التحقيق. ونتوجه إليك بالدعوى في كنف البلوى إذا [سقطت] رسوم الحق ونعوت الصدق، ونتوسل إليك بالفقر إن لم تكن منك عناية والمكر.

اللهم ! إن الأولى بكرمك أن توسل إليك بما ليس بوسيلة، ونطالب قربك بمعاصيك براءة من كل حيلة، فلا تخيب رجاءنا ولا تكذب عناءنا، واستر علينا ما لا يستره إلا كرمك، واكشف من كربنا ما لا يكشفه إلا ألطافك ونعمك.

اللهم! لا تقابل ما عندنا من مقتك بالزيادة ولا تعر إسلامنا وتسليمنا من كريم الإفادة، واجعلنا لك وحدك عاملين، وبك عالمين، يا أرحم الراحمين.

ذكر لي أبو محمد [2] متحمله ـ أكرمه الله ـ أنك تعرفني باسمي، فشغلني فراغي عن معناك، وأن أتعرف منه كيف وصل مثلي إلى هناك. ورأيته خاص الثناء بأبي الوليد بن المنذر، عام الثناء بعد ذلك على الجملة ـ صان الله جميعهم ـ ورغب في

(1) هو أحمد بن الحسين بن قسي من المولدين من أصل مسيحي من بني قسي المعروفين في الثغر الأعلى والذين انتقل فرع منهم إلى غرب الأندلس وقد شغل منصب مشرف في الأعمال المخزنية في مدينة شلب، إلا أنه ما لبث أن تصدق بماله وابتنى رابطة بقرية جلة من قرى شلب يجتمع فيها بمريديه، ثم ادعى الولاية وتسمى بالمهدي وقام بالثورة على المرابطين 539 هـ وانتهى أمره 546 هـ بمقتله ـ له كتاب خلع النعلين.
ابن الأبار : الحلة السيراء، جـ 2 ص 197، ابن الخطيب أعمال الأعلام، ص 248 (بروفنسال) وانظر كتابنا الأندلس في نهاية المرابطين ثورة المريدين.

(2) أبو محمد المواق.

ثلاثة كتب : أحدها إلى أبي الوليد [1]، والثاني لرجل سماه لي بمحمد بن سالم [2]، فأجبته على ما كرهته أو أحببته، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والسلام عليك وعلى من لديك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إليه أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبته عن صلاح ظاهر وعافية شاملة لي ولأهلي ولإخواني والحمد لله رب العالمين.

ووقفت من قبل قريبي أحمد ـ سلمه الله ـ عند منصرفه من تلك الجهة على عدة كراريس في فنون من العلم كتب فيها بعض كلامك وأجوبتك فسرني تمام فهمك، ونفوذ عزمك وإشرافك من علم الحقيقة على إنهاء كتاب متشابه، يصدق بعضه لبعض.

فالحمد لله الذي أبلغني عن أهل وقتي ما كنت أومله. وإني منذ ستة وعشرين سنة سألت رجلا من أهل القرآن والحفظ للموطأ والسياحة : كيف بأهل الانقطاع في العلم ؟

قال : غلب عليهم الاجتهاد والعمل وقل عندهم العلم والبحث.

فقلت : واحسرتي ! ثم ها أنا بلغني عن أناس بالمشرق والمغرب في وقتنا من مكث في حقائق العلم ما يسرني، من كان العلم همه وغمه. ومن أشد ما يمسني بعد معرفتي بحالك وحال إخوانك لما في رؤية أحوالكم ومعرفتي بها من يقظة قلبي وحياة لبي فاعلمه.

والسلام عليك وعلى كل واحد ممن تحبه ويحبك مرددا، ورحمة الله وبركاته.

---

(1) أبو الوليد بن المنذر.

(2) محمد بن سالم الشلبي.

رسالته إلى : أبي الوليد بن المنذر[1] رحمه الله ورضي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله وسلم تسليما.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المسالمة ـ أعزك الله ـ وداد، والأرواح أجناد. وسببه أن أبا محمد [2] متحمله ـ أكرمه الله ـ قصدني قصدا ظاهره البر، والله أعلم بما ينطوي عليه السر، فوجب له حق، وحصل بينه وبين من سواه فرق، فسألته عن بلده فذكره، وعد من أمر تلك الخاصة إلى أمرك فنشره، وأعطاك من لسانه أفضل العطيات، والله ولي الخفيات.

وذكر [لي] أن بِرَّكَ بها اتسع، تخطى البلاد وجمع، وزعم أني عندك معروف وبلسان المعرفة والستر موصوف، فنفعك الله يا أخي بصالح نيتك ووضع البركة بتمامها في طويتك، ولم يخبرك عني مثلي، فلا تشتغل بي، فأنا لو عانيت ظاهري لمقته، ولو كاشفت باطني لكنت له أمقت.

أنا منذ أربعين سنة أطالب نفسي بالاستواء والاستقامة، فما زادها طلبي إلا الاستبداد، ولا أفادها إلا غلوا وفسادا، ولم نُوت من شيء كما أوتيت ممن إذا مدح مدح نفاقا، وإذا قدح قدح شقاقا. لا زلت في كنف العافية مع الحجة الصافية بحول الله تعالى، وأعظم حاجتي رغبتك إلى الله تعالى وضراعتك لي في خمول تموت به النفس، وتجهل في مثله الشمس مأجورا والسلام.

---

(1) هو أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر، أحد أعيان شلب من بيت قديم من المولدين، أخذ العلم في إشبيلية وتولى عدة مناصب قضائية كان منها خطة الشورى، وتميز بالمعارف الأدبية والفقهية، ثم تزهد وتصدق بماله ورابط على ساحل البحر من رباط ريحانة بشلب.

ابن الأبار : الحلة السيراء، جـ 2 ص 202 وانظر كتاب الأندلس في نهاية المرابطين، الجزء الخاص بثورة المريدين.

(2) أبو محمد المواق.

أخبرني أبو محمد المواق [1] متحمله - أكرمه الله - أنك أشرت على أقوام بالأعواض فوهبوا لك، فأقبلوا على ما ينفعهم إقبالا حسنا، فوقع ذلك مني موقع الماء من غُلة الظمأ، وذلك ظني بحالي منك حين سمعت الخبر، والله أعلم بما أحصاه من أمري.

فإن سرك يا أخي أن ينتفع بك حبك الناس ، فلا يكن شيء أحب إليك من تعلم المسألة فإن الصادق ينفع الناس بصدقه، والكاذب لا يتعداه كذبه، والمناكرة أعلاق وليس معها تمسك ولا اعتلاق، وهي تقطع الأقوياء وتمحق الضعفاء.

عصمنا الله من المكر، خفيهُ وجليهُ بعزته.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

---

(1) لَمْ يتم الاهتداء إلى ترجمته.

III : الملحق الثالث

النصوص التي تشير إلى ابن العريف ومحاسن المجالس وبعض آرائه وأفكاره الصوفية في الفتوحات المكية لابن عربي:

1) « فِي نَظَرِ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ — فِي قُدْسِ الأَبَدِ وَتَنْزِيهِهِ
وَعُلُوِّهِ عَنْ أَدَوَاتٍ أَتَتْ — تَلْحَقُ بِالْكَيْفِ وَتَشْبِيهِهِ
دَلاَلَةٌ تَحْكُمُ قَطْعاً عَلَى — مَنْزِلَةِ الْعَبْدِ وَتَنْوِيهِهِ
وَصِحَّةِ الْعِلْمِ وَإِثْبَاتِهِ — وَطَرْحِ بِدْعِيٍّ وَتَمْوِيهِهِ

اعلم أيدك الله أن جميع المعلومات علوها وسفلها حاملها العقل الذي يأخذ عن الله تعالى بغير واسطة، فلم يَخْفَ عنه شيء من علم الكون الأَعْلى وَالأَسْفَل، ومن وهبه وجوده تكون معرفة النفس الأشياء، ومن تجليه إليها ونوره وفيضه الأقدس، فالعقل مستفيد من الحق تعالى مفيد للنفس. والنفس مستفيدة من العقل وعنها يكون الفعل وهذا سار في جميع ما يتعلق به علم العقل بالأشياء التي هي دونه، وإنما قيدنا بالتي هي دونه من أجل ما ذكرناه من الإفادة وتحفظ في نظرك من قوله تعالى: ﴿**حتى نعلم**﴾ (1) وهو العالم. فاعرف السبب، واعلم أن العالم المبهم لا يستفيد من العقل الأول (2) شيئا، وليس له على المهيمين سلطان، بل هم وإياه في مرتبة واحدة، كالأفراد منا الخارجين عن حكم القطب، وإن كان القطب واحدا من الأفراد.

---

(1) محمد : 31.

(2) **العقل الأول** : عند الشيخ الأكبر هو : العقاب، والعلم (إصطلاحات ابن العربي) وهو عنده : أول خلق ظهر. ومن أسمائه القلم الأعلى، الحق المخلوق به، العدل، الإمام المبين، الحقيقة المحمدية، الدرة البيضاء، نور محمد، ومن الملاحظ أن كثرة هذه الأسماء ليست سفسطة كلامية قوامها الترادف، بل هي ناشئة من اختلاف النظرة إلى هذه الحقيقة، ومن صلة هذه الوجوه بوجه حقائق أخرى.

لكن خصص العقل بالإفادة، كما خصص القطب من بين الأفراد بالتولية، وسار في جميع ما تعلق به على العقل، إلا علم تجريد التوحيد خاصة. فإنه يخالف سائر المعلومات من سائر الوجود ؛ إذ لا مناسبة بين الله تعالى وبين خلقه البتة، وإن أطلقت المناسبة يوما عليه كما أطلقها الإمام «أبو حامد الغزالي» في كتبه وغيره، فبضرب من التكلف ومرمى بعيد عن الحقائق. وإلا فأي نسبة بين المحدث والقديم، أم كيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل هذا محال. كما قال «**أبو العباس بن العريف الصنهاجي**» **في** «**محاسن المجالس**»، التي تعزى إليه : ليس بينه وبين العباد، نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأزل، وما بقي فعمى وتلبيس، وفي رواية «فعلم» بدل من قوله : «فعمى».

فانظر ما أحسن هذا الكلام، وما أتم هذه المعرفة بالله، وما أقدس هذه المشاهدة، نفعه الله بما قال، فالعلم بالله عزيز عن إدراك العقل والنفس، إلا من حيث أنه موجود تعالى وتقدس. وكل ما يتلفظ به في حق المخلوقات أو يتوهم في المركبات وغيرها، فالله سبحانه في نظر العقل السليم من حيث فكره وعصمته. بخلاف ذلك لا يجوز عليه ذلك التوهم ولا يجري عليه ذلك المَقْطَعَة لا من الوجه الذي تقبله المخلوقات، فإن أطلق عليه فعلى وجه التقريب على الأفهام لثبوت الوجود عند السامع، لا لثبوت الحقيقة التي هو الحق عليها. فإن الله تعالى يقول : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، [1] ولكن يجب علينا شرعا من أجل قوله تعالى لنبيه (ص) : ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾ [2] ». [3]

---

(1) الشورى : 11

(2) محمد : 19

(3) الفتوحات المكية 4/1 الباب III في تنزيه الحق تعالى، ص 92، 93.

2) « لِلْإِبْـتِـدَاءِ شَـــوَاهِــدُ وَدَلَائِــلُ وَلَــهُ إِذَا حَــطَّ الـرِّكَـابُ مَـنَـــازِلُ
يَحْـوِي عَـلَـى عَيْـنِ الْجَــوَادِ حُكْمَـهُ وَيَـمُـــدُّهُ اللّٰهُ الْكَـرِيـــمُ الْفَـاعِــلُ
مَا بَـيْـنَـهُ نَـسَـبٌ وَبَـيْـنَ إِلَـهِـهِ إِلَّا الـتَّـعَـلُّـــقُ وَالْـجُــودُ الْحَاصِــلُ
لَا تَـسْـمَـعَـنَ مَـقَـالَـةً مِـنْ جَـاهِـلٍ مَبْـنَـى الْوُجُـودِ حَـقَـائِـقُ وَأَبَـاطِـلُ
مَـبْنَـى الْـوُجُـودِ حَقَـائِق مَشْـهُـودَة وَسِوَى الْوُجُـودِ هُوَ الْـمُحَالُ الْبَاطِـلُ

يقول لابتداء الأكوان شواهد فيها، إنها لم تكن لأنفسها، ثم كانت، وله الضمير يعود على الابتداء إذا حط الركاب ؛ أي إذا تتبعه من أين جاء، وجدته من عند من أوجده، ولذلك كان له البقاء، قال تعالى : ﴿**وما عند الله باق**﴾ [1]. فإذا حططت عنده عرفت منزلته منه الذي كان فيها، إذ لم يكن لنفسه، وتلك منزل الأولية الإلهية في قوله : ﴿**هو الأول**﴾ [2]. ومن هذه الأولية صدر ابتداء الكون، ومنه تستمد الحوادث كلها وهو الحاكم فيها وهي الجارية على حكمه ونفي النسب عنه. فإن أولية الحق تمد أولية العبد، وليس لأولية الكون امتداد لشيء. فما ثم نسب إلا العناية، ولا سبب إلا الحكم، ولا وقت غير الأول. هذا مذهب القوم، وما بقي مما لم يدخل تحت حصرة هذه الثلاثة، فَعَمَى وتبليس، هكذا صرح به **صاحب محاسن المجالس**.

وقول من قال مبني الوجود حقائق وأباطل ليس بصحيح، فإن الباطل هو العدم، وهو صحيح، فإن الوجود **المستفاد** في حكم العدم والوجود الحق، من كان وجوده لنفسه، وكل عدم وجد فما وجد إلا من وجود كان موضوعا به لغيره لا لنفسه، والذي استفاد هو الوجود لعينه [3]، وأما المحال الباطل فهو الذي لا وجود له لا لنفسه ولا من غيره» [4].

---

(1) النحل : 96

(2) الحديد : 3

(3) يرى ابن عربي أن الوجود : وجود حقيقي : وهو الوجود المطلق، الوجود الصرف، وهو عين الوجود « ... الكل لله وبالله، بل هو الله» (فصوص الحكم ج 1 ص 83) وفي ذلك يقول : (الفتوحات ج 4 ص 100)

إنـه الـوجــود لـحـرف أنـت معـنـاه وليس لي أمل في الكون إلا هو
الله أكـبـر لا شـيء يـمـاثـلـه وليس شيء سواه بل هو إياه
فما ترى عين ذي عين سوى عدم فصح أن الوجود المدرك الله

ووجود خيالي : هو الوجود الإضافي، المقيد، الإمكاني، المستفاد، المستعار.

(4) أنظر الفتوحات ج 1 ص 175 : (الباب الثاني والعشرون : في معرفة علم منزل المنازل ...)

3) «ومن أسارهم أيضا علم الطبائع وتأليفها وتحليلها، ومنافع العقاقير يعلم ذلك منها كشفا. خرج شيخنا «أبو عبد الله الغزال» كان «بالمرية» رحمه الله في حال سلوكه من مجلس شيخه **أبي العباس بن العريف** أديب زمانه فهو بالأحرش بطريق الصَّمَادِ حَيَّةً، إذ رأى أعشاب ذلك المرج كلها تخاطبه بمنافعها، فتقول له الشجرة أو النجم : خذني فإني أنفع لكذا، وأدفع من المضار كذا. حتى ذهل وبقي حائرا من نداء كل شجرة منها تحديا له وتقربا منه، فرجع إلى الشيخ وعرفه بذلك. فقال له الشيخ : مالهذا خدمتنا، أين كان منك الضار النافع حين قالت لك الأشجار إنها نافعة ضارة ؟ فقال : يا سيدي التوبة !.

قال له الشيخ : إن الله فتنك واختبرك، فإني ما دللتك إلا على الله لا على غيره. فمن صدق توبتك أن ترجع إلى ذلك الموضع، فلا تكلمك تلك الأشجار التي كلمتك إن كنتَ صادقا في توبتك. فرجع «أبو عبد الله الغزال» إلى الموضع، فما سمع شيئا مما كان قد سمعه، فسجد لله شكرا ورجع إلى الشيخ فعرفه فقال الشيخ : الحمد لله الذي اختارك لنفسه ولم يدفعك إلى كون مثلك من أكوانه، تشرف به وهو الحقيقة يشرف بك.

فانظر همته رضي الله عنه وإذا علم أسرار الطبائع، ووقف على حقائقها علم من الأسماء الإلهية التي علمها الله آدم عليه السلام نصفها، وهي علوم عجيبة لما أطلعنا الله عليها من هذه الطريقة، رأينا أمرا هائلا، وعلمنا من سر الله في خلقه، وكيف يسر الاقتدار الإلهي في كل شيء. فلا شيء ينفع إلا به ولا يضر إلا به، ولا ينطق إلا به ولا يتحرك إلا به. وحجب العالم بالصور، فنسبوا كل ذلك إلى أنفسهم وإلى الأشياء، والله يقول : ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله**﴾ (1) ....» (2)

---

(1) فاطر : 15

(2) الفتوحات المكية ج 1، الباب 37 في معرفة الأقطاب العيسويون، ص 228.

4) - « ... فالرجوع إلى الله أولى في الأمور كلها كما قال [تعالى] : ﴿**وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ**﴾ [1]. وهذا من جملة الأمر، فلا علم إلا العلم المأخوذ عن الله، فهو القائم سبحانه وحده، والمعلم الذي لا يدخل على المتعلم منه فيما يأخذ عنه شبهة، ونحن المقلدون له، والذي عنده حق. فنحن في تقليدنا إياه فيما أعلمنا به أولى باسم العلماء من أصحاب النظر الفكري، الذين قلدوه فيما أعطاهم. إنهم لا يزالون مختلفين في العلم بالله والأنبياء مع كثرتهم وتباعد ما بينهم من الأعصار، لا خلاف عندهم في العلم بالله، لأنهم أخذوه عن الله، وكذلك أهل الله وخاصته.

فالمتأخر يصدق المتقدم ويشد بعضهم بعضا، ولو لم يكن ثم إلا هذا، لكفى ووجب الأخذ عنهم، وهذا الباب أعني باب التوحيد يعطي المناسبة من وجه. وقد قال بذلك جماعة من أهل الله «كأبي حامد» وغيره من شيوخنا، ولا يعطي المناسبة من وجه. وقد قال به جماعة من أصحابنا «**كأبي حامد بن العريف الصنهاجي**» ونفوا المناسبة جملة ؛ والذي أذهب إليه وأقول به ما أصلناه أو لا أن لا نقلد في علمنا بالله وبغير الله إلا الله. فنحن بحسب ما يلقى إلينا في حق نفسه، فإن خاطبنا بالمناسبة قلنا بها، حيث خاطبنا لا نتعدى ذلك الموضع ونقتصر عليه. وإن خاطبنا برفع المناسبة رفعناها في ذلك الموطن الذي فيه لا نتعداه، فيكون الحكم له لا لنا.

فلا نزال نصيب أبدا ولا نخطئ، وهو المعبر عنه بالعصمة في حق الأنبياء عليهم السلام، والحفظ في حق الأولياء. ومتى مالم يخبر عن الله فالإصابة إذا حصلت منه للحق اتفاقية بالنظر إليه مقصودة، بالنظر إلى الحق، هذا هو الذي نعتمد عليه. فقوله : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[2] على زيادة الكاف رفع للمناسبة الشيئية. وتمام الآية : ﴿**وهو السميع البصير**﴾.[3] إثبات للمناسبة والآية واحدة والكلمات مختلفة.

---

(1) هود : 123

(2) الشورى : 11

(3) الشورى : 11

فلا نعدل عن هذه المحجة، فهي أقوى حجة، وهي ماذهبنا إليه من تقليد الحق، فإنه طريق العلم والنجاة في الدينا والآخرة ؛ وهي طريق النبيئين والمرسلين والقائلين بالفيض [1]

---

(1) **الفيض :** «L'Emanation»

الفيض لغة : من فاض يفيض فيضا وفيوضة وفيوضا وفيضانا وفيضوضة، ويقال فاض الماء والدمع ونحوهما، إذا كثر حتى سال على ضفة الوادي، وجرى بسهولة، وفاضت العين فيضا إذا سالت. وقد يحمل الفيض معنى مجازيا فيدل على الجود والكرم والعطاء، ففيض وفياض واسع العطاء وكثير المعروف. (لسان العرب).

وجاء اللفظ في القرآن الكريم بعدة معاني منها :

- السيولة وسهولة الجريان، كما في قوله تعالى : «تفيض من الدمع». (المائدة : 83)

- والسير أو المشي الحثيث، كما في قوله تعالى : «أفيضوا من حيث أفاض الناس» (البقرة : 199).

- وكذلك بمعنى الجود والكرم والعطاء، كما جاء في قوله تعالى : «أفيضو علينا الماء» (الأعراف : ص 5).

والفيض عند الفلاسفة الإشراقين نظرية في الوجود ترى أن العالم قد صدر عن الله كما يصدر نور الشمس عن الشمس، وأول من قال بها الحل إشكالية علاقة الوحدة «الله» بالكثرة «العالم»، أفلوطين الإسكندري [ت 270 م].

والفيض عند الصوفية يفيد التجلي الإلهي، فإن ذلك التجلي هيولاني الوصف، وإنما يتعين ويتقيد بحسب المتجلي، فإن كات التجلي لع عينا ثابتة غير موجودة يكون هذا التجلي بالنسبة إليه تجليا وجوديا فيفيد الوجود. وإن كان التجلي له موجودا خارجيا كالصورة المسواة، يكون التجلي بالنسبة إليه بالصفات، ويفيد صفة غير الوجود كصفة الحياة ونحوها. (التهاوني : ص 1127)

وعند الصوفية المتأخرين، صوفية وحدة الوجود، مفهوم الفيض يستخدم بمعنى تجلي النور الإلهي على الشؤون الإلهية، وهو النور الذي يظهر التعيينات المحتواة في غيب الذات، وهو السبب في ظهور الكثرة في الكون.

فابن عربي يرى أن الخلق تم بالتجلي أو بالفيض والجود الإلهي أو كما قال : طالما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها إحصاء «أن يرى أعيانها» وإن شئت قلت أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كله، لكونه متصفا بالجود ويظهر به سره إليه : فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما مثل رؤيته نفسه في أمر أخر يكون له كالمرآة [...] وقد كان الحق سبحانه أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لاروح فيه فكان كمرآة غير مجلوة ومن شأن الحكم الإلاهي ما سوى محلا إلا ويقبل روحا إلهيا عبر عنه بالنفخ فيه ؛ وما هي إلا حصول الاستعدادمن تلك الصورة المسواة لقبول الفيض التجلي الدائم الذي لم يزل ولا يزال. وما بقي إلا قابل والقابل لا يكون إلا من فيضه الأقدس. فالأمر كله منه ابتداؤه وانتهاؤه، «وإليه يرجع الأمر كله»، كما ابتدأ منه. (فصوص الحكم : الفص الآدمي ص 1 : ص 48 - 49).

ويشير ابن عربي إلى نوعين من الفيض أو الخلق بالتجلي الإلهي يمثلان مرحلتين من مراحل الخلق :

- **الفيض الأقدس :** L'effusion sacrosainte

وهو عبارة عن التجلي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعدادها في الحضرة العلمية ثم العينية، أي تجلي الحق لنفسه في صور أعيان الممكنات. (الفصوص. ج 2 ص 245).

- **الفيض الأقدس :** L'effusion sainte

وهو عبارة عن التجليات الأسمائية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج. أو هي التي فيها يكون تجلي الحق لنفسه في صور الموجودات من حيث وجودها في باطن الغيب المطلق. (نفسه).

من الالهيين [1]. فإذا جاءك من الله علم فلا تدخله في ميزان الفكر، ولا تجعل لعقلك سبيلا إلى ذلك، فتهلك من ساعتك. فإن العلم الإلهي لاي دخل في الميزان لأنه الواضح له ..» [2].

5) « اعلم أن المعرفة نعت إلهي لا عين لها في الأسماء الإلهية من لفظها، وهي أحدية المكانة لا تطلب إلا الواحد. والمعرفة عند القوم (الصوفية) محجة، فكل علم لا يحصل إلا عن عمل وتقوى وسلوك، فهو معرفة لأنه عن كشف محقق لا تدخله الشبهة، بخلاف العلم الحاصل عن النظر الفكري لا يسلم أبدا من دخول الشبه عليه والحيرة فيه، والقدح في الأمر الموصل إليه. (...)

(...) في تسمية هذا المقام بالمعرفة وصاحبه بالمعارف، اختلف أصحابنا في مقام المعرفة ومقام العلم والعالم :

طائفة قالت : مقام المعرفة رباني، ومقام العلم إلهي وبه أقول وبه قال المحققون : «كسهل التستري» و«أبي يريد» و«ابن العريف» «وأبي مدين».

وطائفة قالت : مقام المعرفة إلهي ومقام العلم دونه، وبه أيضا أقول. فإنهم أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة، وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم، فالخلاف فيه لفظي.

وعمدتنا قول الله تعالى : ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا لِمَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ**﴾. [3] فسماهم عارفين وما سماهم علماء، ثم ذكر ذكرهم فقال : ﴿**يَقُولُونَ رَبَّنَا**﴾ [4] ولم يقولوا إلهنا آمنا، ولم يقولوا علمنا ولاشهدنا، فأقروا بالاتباع، ﴿**فَاكْتُبْنَا مع الشَّاهِدِينَ**﴾ [5]، وماقالوا : نحن من الشاهدين، وقالوا : مالنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع، ولم يقولوا :

---

(1) **الإلهيين** : أو الربانيين، فابن عربي يرى أن الألوهية تتفق والربوبية من حيث أنهما يطلبان المألوه والمربوب في مقابل الذات الغنية عن العالمين، والإلهيون هنا جاء بمعنى المفكرين والباحثين الذين خاضوا في موضوعات الألوهية، أو الربوبية وخاصة منهم السادة الصوفية، مثل «سهل التستري» وأبي يزيد البسطامي «وابن العريف» و «ابن برجان» و «ابن العريف» ....

(2) الفتوحات المكية 2/4، الباب 172 في معرفة مقام التوحيد، ص 290 - 291.

(3) المائدة : 83

(4) - 5) المائدة : 83

ونقطع أن يدخلنا ربنا. ولم يقولوا : ﴿**إلهنا**﴾ مع القوم، ولم يقولوا مع عبادك الصالحين كما قالت الأنبياء، فقال الله لهؤلاء الطائفة التي صفتهم هذه : ﴿**فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِما قَالُوا جَنَّاتٍ**﴾ [1] محل شهوات النفوس. فأنزلناهم حيث أنزلهم الله، وقد استوفينا القول في الفرق بين المعرفة والعلم في كتاب «مواقع النجوم ....» [2]

6) - «اعلم وفقك الله أن الحب مقام إلهي، فإنه وصف به نفسه وتسمى بالودود، وفي الخبر بالمحب. ومما أوحى الله به إلى موسى في التوراة : «**يا ابْنَ آدَم إِنِّي وَحَقِّي لَكَ مُحِب فَبِحَقّي عَلَيْكَ كُنْ لي مُحِبّاً**». [3]

وقد وردت المحبة في القرآن والسنة في حق الله وفي حق المخلوقين وذكر أصناف المحبين بصفاتهم (...) فقال تعالى لنبيه (ص) .... : ﴿**قُلْ إِنْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله**﴾ [4] (...) وقال في ذكر الأصناف الذين يحبهم : ﴿**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**﴾ ويحب ﴿**المُتَطَهِّرِينَ**﴾ ويحب ﴿**المُتَوَكِّلينَ**﴾ ويحب ﴿**الصّابِرِينَ**﴾ (...). (...) وهذا ألطف ما يكون من المحبة ودونه حب الحب، وهو الشغل بالحب عن متعلقه. جائت ليلى إلى قيس وهو يصيح : ليلى ليلى، وهو يأخذ الجليد ويلقيه على فؤاده فتذيبه حرارة الفؤاد، فسلمت عليه وهو في تلك الحال. فقالت له : أنا مطلوبك، أنا بغيتك، أنا محبوبك، أنا قرة عينك، أنا ليلى. فالتفت إليها وقال : إليك عني، فإن حبك شغلني عنك. وهذا ألطف ما يكون وأرق في المحبة، ولكن هو دون ما ذكرناه في اللطف.

وكان شيخنا «أبو العباس العريني» رحمه الله، يسأل الله أن يرزقه شهوة الحب لا الحب. واختلف الناس في حَدِّهِ، فما رأيت أحدا حده بالحد الذاتي، بل لايتصور

---

(1) المائدة : 85

(2) الفتوحات المكية 2/4 الباب 177 في معرفة مقام المعرفة ص ص 297 - 298 / 318 - 319

(3) الحديث

(4) آل عمران : 31

ذلك. فما حده من حده إلا بنتائجه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجناب العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن «أبي العباس بن العريف الصنهاجي»، قالوا : سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال : الغيرة من صفات المَحبة والغيرة تأبى إلا الستر فلا تحد.

واعلم أن الأمور والمعلومات على قسمين :

منها ما يحد ومنها ما لايحد، والمحبة عند العلماء بها المتكلمين فيها من الأمور التي لا تحد، فيعرفها من قامت به ومن كانت صفته ولا يعرف ماهي ولا ينكر وجودها.

واعلم أن كل حب لايحكم على صاحبه، بحيث أن يصمه عن كل مسموع سوى ما يسمع من كلام محبوبه. ويعميه عن كل منظور سوى وجه محبوبه، ويخرسه عن كل كلام إلا عن ذكر محبوبه وذكر من يحب محبوبه، ويختم على قلبه فلا يدخل فيه سوى حب محبوبه، ويرمي قفله على خزانة خياله فلا يتخيل سوى صورة محبوبه ....». [1]

7) - « ... وقد كان شيخنا «صالح البربري» بإشبيلية قد قال لي : يا ولدي إياك أن تذوق الخل بعد العسل، فعلمت مراده. وكان من أكبر من رأيته من المنقطعين إلى الله تعالى، بل المنقطعين ما رأيت على قدمه مثله. فجئت الشيخ بكرة وقلت له ما كان من منظوم نَظمتُهُ إِلَهِيٌّ، لا عن رؤية ولا تعمل. كما قال « أبو العباس بن العريف الصنهاجي » :

وجَـاءَ حَديـثٌ لا يـمـل سَمَـاعَـهُ   شهـي إِلَـيْـنَـا نَـثْـرُهُ وَنِـظَـامُـهُ [2].

---

(1) الفتوحات ج 2/4 الباب 178 في معرفة مقام المحبة، ص 322 و 325.

(2) وهذا من الشعر الذي ينسب إليه، أورده «العباس بن ابراهيم» في كتابه «الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام جـ 2 تحقيق عبد الوهاب 1975 ص 23.

وكان النظم الذي عملته في حالي :

كَانَ مِثْلَ الْخَلِّ مِنْ بَعْدِ الْعَسَلَ   فَمَضَى الصَّبَاحُ عَنّى وَأَفَلْ
وَبَدَتْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ حَالِكٍ   أَوْرَثَتْ فِي الْقَلْبِ أَسْبَابَ الْعِلَلْ
قُلْتُ : رَبِّي. قَالَ : لَبَّيْكَ فَمَا   تَبْتَغِيهِ ؟ قُلْتُ : نُوراً بِعَمَلْ
عَلِمَ الْحَقُّ الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ   قَالَ : بَابٌ مُغْلَقٌ. قُلْتُ : أَجَلْ
قُلْتُ : هَبْ لِي نُورَكَ الْخَالِصَ لِي   فَبَدَا النُّورُ بِلاَ ضَرْبٍ مَثَلْ
[تَجَلَّى] فِي سَمَائِي ثُمَّ أَرْضِي ثُمَّ مَا   بَيْنَ هَذَيْنِ إِلَى غَيْرِ أَجَلْ
وَالَّذِي يَفْهَمُ قَوْلِي قَدْ دَرَى   أَنَّنِي الأَمْرُ الَّذِي مِنْهُ نَزَلْ

8) - « ... {حكاية} تتضمن وصية حدثني «أبوقاسم الجبائي» [1] بمراكش عن «أبي عبد الله الغزال» العارف الذي كان بألمرية، من أقران «أبي مدين»، و «أبي عبدالله الهوازي» بتونس[2] «وأبي يعزى» و «أبي شعيب السارية» و «أبي الفضل اليشكري»، و «أبي النجا»، وتلك الطبقة. قال أبو عبد الله الغزال» : كان يحضر مجلس شيخنا « أبي العباس بن العريف الصنهاجي» رجل لا يتكلم ولا يسأل ولا يصحب واحدا من الجماعة، فإذا فرغ الشيخ من الكلام خرج فلا نراه قط إلا في المجلس خاصة. فوقع في نفسي منه شيء، ووقعت منه على هيبة، فأحببت أن أتعرف به وأعرف مكانه. فتبعته عشية يوم بعد انفصالنا من مجلس الشيخ، من حيث لا يشعر بي ؛ فلما كان في بعض سكك المدينة، إذابشخص قد انقض عليه من الهواء برغيف في يده فناوله إياه وانصرف، فجذبته من خلفه فقلت : السلام عليك، فعرفني فرد علي السلام فسألته عن ذلك الشخص الذي ناوله الرغيف فتوقف. فلما علم مني أني لا أبرح دون أن يعرفني، قال لي : هو ملك الأرزاق يأتي إلي من عند الله كل يوم بما

(1) الفتوحات المكية ج 3/4 الباب 348 في معرفة منزلة الأمة البهيمية والإحصار والثلاثة الأسرار ... ص 488.

(2) في الأصل : بتنس.

قدر لي من الرزق، حيث كنت من أَرْضَ ربي، ولقد لطف الله بي في بدأ أمري ودخولي إلى هذا الطريق إذا فرغت نفقتي وبقيت بلا شيء، سقط علي من الهواء بين يدي قدر ما أشتري به ما أحتاج إليه من القوت فأنفق منه، فإذا فرغ جاءني مثل ذلك مّن عند الله، لكني ما كنت أرى شخصا. قال تعالى في حق مريم ابنت عمران : ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً. قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا. قَالَتْ. هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ** ﴾ [1]» [2].

---

(1) آل عمران : 37

(2) الفتوحات المكية : ج 4/4 الباب 560 في وصية حكيمة ينتفع بها المريد السالك. ص 550.

IV : الملحق الرابع

أ ـ بعض قصائده ومقطعاته

أ ـ قصيدة في مدح خير الأنام محمد (ص) الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراط الله المستقيم. وهي مأخوذة كما ذكر صاحب «نفح الطيب» من كتاب ابن العريف المفقود «مطالع الأنوار ومنابع الأسرار».

1- « وحقك يا محمد »

وحقك يا محمد إن قلبي — يحبك قربة نحو الإله

جرت أمواه حبك في فؤادي — فهام القلب في طيب المياه

فصرت أرى الأمور عين حق — وكنت أرى الأمور بعين ساهي

إذا شغف الفؤاد به ودادا — فهل ينهاه ذكراه ناهي

يهيم بذكره ويحن شوقا — حنين المستهام إلى الملاهي

يخامره ارتياح منه حتى — يقول أولو الجهالة : ذاك لاهي

وما هو حق فضل قد رآه — فصار يجد في طلب الملاهي

فسوف ينال في الدنيا سرورا — وفي الدار الأخيرة كل جاه

ويُعطَى ما تمنى من أمان — كما قد حب محبوب الإله

---

(1) أحمد بن محمد المقري التلمساني، كتاب « نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» ج 7 ص 197، تحقيق د، إحسان عباس دار صادر بيروت 1968م.

2 - « أَنْتَ مَلاَذِي »

يَا عَاذِلِي فِي طُلاَبِي — دَعْنِي مِنْ الْعَزْلِ دَعْنِي
سَأَعْمِلُ العِيسَ شَوْقاً — بِالْعَزْمِ دُونَ التَّأَنِّي
إِلَى ضَرِيحِ رَسُولٍ — مُصَدِّقٍ حُسْنَ ظَنِّي
أَشْدُو عَلَى كُلِّ فَجٍّ — حِينَ الْحَمَامُ يُغَنِّي
يَا أَطْهَرَ الْخَلْقِ إِنِّي — بِذِلَّتِي عَبْدُ قِنِّ
فَاعْتِقِ الْيَوْمَ رِقِّي — وَانْظُرْ بِعَطْفِكَ مِنِّي
فَأَنْتَ أَنْتَ مَلاَذِي — إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَعْنِي
إِنْ غِبْتَ عَنْ عَيْنِ جِسْمِي — مَا غِبْتَ عَنْ عَيْنِ ذِهْنِي
لَوْلاَكَ كُنَّا أُنَاساً — أَشَرَّ مِنْ كُلِّ جِنِّ
لِلَّهِ خَالِصُ شُكْرِي — عَسَاهُ يَصْفَحُ عَنِّي[1]
فَإِنَّنِي عبد سوءٍ — قَلَبْتُ ظَهْرَ المِجَنِّ

3 - « صَلَّى الإِلَهُ عَلَى الْهَادِي »

صلى الإله على النبي الهادي — ما لاذت الأرواح بالأجساد
صلى عليه الله ما اسود الدجى — فَكَسَا محيا الأفق بُرْدَ حِدادٍ
صلى عليه الله ما انبلج السنا — فابيض وجه الأرض بعد سوادٍ
صلى عليه الله ما همع الحيا — فسقى البلاد برائح أو غادي
صلى عليه الله ما هَفَتِ الصبا — وشدا على فتن الأراكة شادي
صلى عليه الله ما ألف الكرى — جفنٌ فخامره لذيذ وقادٍ
صلى على المختار أحمد ربُّه — ما استمسكت نارٌ بطَيِّ زناد
صل على خير الأنام محمدٍ — من خصَّه بالنورِ والإرشادِ

(1) المقري نفس المصدر، ص 498.

صلى الإله على رسول حاشرٍ ... حُشِرَ الأنام لديه في الميعادِ
صلى الإله على رسول عاقبٍ ... في الدهر وهو بفضله كالهادي
صلى الإله على رسول خاتم ... ختم النبوة بالكتاب الهادي
صلى الإله على المقفى ما اقتفى ... بشرٌ نبوته بغير عنادٍ
صلِّ على ماحي الضلال إلهه ... ما غردت طير على الأعواد
صلى الإله على رسول فاتح ... فتح الظلام بنوره الوقادِ
صلى الإله على نبي راحم ... بالملة الغَرَّاء بعد فسادٍ
صلى الإله على نبي طالع ... رحم الإله به من الإبعادِ
صلى الإله على نبي طالع ... بملاحم قصمت فؤاد العادي
صلى عليه الله فهو نبيه ... ناداه بالإرشاد خير مناد
صلى عليه الله فهو رسوله ... أعطاه راية عَزْمَةٍ كلَّ سدادٍ
صلى عليه الله فهو خليله ... أسدى إليه منه كلَّ سدادٍ
صلى عليه الله فهو صفيه ... صَفَّى سريرته من الأحقاد
صلى عليه الله فهو وليه ... وإلاه في الإصدار والإيراد
صلى عليه الله فهو المصطفى ... من كل حضَّار العباد وبادي
صلى عليه الله فهو المجتبى ... يجبي إليه الخير دون نَفَادِ
صلى عليه الله فهو المنتقى ... نور الزمان وواحد الآحادِ
صلى عليه من يراه مطهَّراً ... واختاره طوداً من الأطوادِ
صلى عليه من يراه بفضله ... وأعاده حيا لغير مَعادِ
صلى عليه من أراه جلاله ... وأناله من ذاك كل مرادِ
صلى عليه من أحل فؤاده ... في ظل عرش ثابت الأوتاد
صلى عليه من غَذاه بنعمة ... فتضاعفت كتضاعف الأعداد
صلى عليه من كساه عوارفاً ... واختصه منه بخير أيادِ (1)

---

(1) المقري نفس المصدر، ص 498.

ب ـ بعض المقطعات في مواضيع مختلفة

1 ـ «بَرْقُ الْحِمَى»

قِفَا وَقْفَةً بَيْنَ الْمُحَصَّبِ والحِمَى ... نُصَافِح بِأَجْفان العُيون المغَانيَا
ولا تنسيا أن تسألا سَمُر اللِّوى ... متى بات من سُمْر الأسِنَّة عَاريَا
فَعَهْدِي بِه والماءُ يَنْسَابُ فَوقَه ... سَماء ومَاء الوُرود يَنْسابُ وادِيا
كأنّ فُؤادي في فَم اللَّيثِ كُلَّما ... رأيت سَنَا برق الحِمَى أو رآنيَا
أَقَامَ[1] عَلى أَطلاَلِهم ضَوءِ بَارِق ... من الحسن لا يبقى على الأرض باليا
سلامٌ على الأَحْبَابِ تَحْذُوه لوعة ... من الشوق لم يفقد من البين حاديا[2]

2 ـ «سَلُوا عَنِ الشَّوْقِ مَنْ أَهْوى»

سَلُوا عن الشَّوْقِ مَنْ أَهْوَى فَإِنَّهم ... أَدْنى إلى النَّفْسِ مِنْ نَفْسِي ومن نَفَسِ
مَا زِلْتُ مُذْ قَلبِي أَصُونُ لَهُمْ ... لَحْظِي وَسَمْعِي وَنُطْقِي إِذْ هُمْ أُنَسِ
فمن رسولي إلى قلبي فيسألهم ... عَنْ مُشْكِلٍ مِنْ سُؤالِ الصَّعْبِ مُلْتَبِس
حلوا الفؤاد فما يندى ولو وطئوا ... صخرا لجاد بماء منه منبجس
وفي الحشا نزلوا والوهم يخرجهم ... فكيف قرُّوا على أذكى من القَبَسِ
لأنهضن إلى حشري بِحُبِّهم ... لا بَارَكَ الله فيمن خَانَهُمْ فَنِسِ

2 ـ «إِذَا نَفْسِي أَنابَتْ وَأَصْلَحَتْ»

بِنَفْسِي إِذَا نَفْسِي أَنَابَتْ وَأَصْلَحَتْ ... غَرِيبٌ جَرَتْ مِن مقْلَتَيْهِ غُرُوبٌ
إِذَا ذَكَرَ الْمَوْلَى تَنَسَّمَ قَلْبُهُ ... وإن غَلَبَتْهُ النَّفْسُ كَادَ يَذُوبُ
أَنَاخَ بِعِلِّيِّينَ رَائِدُ سِرِّهِ ... إِلى حَيْثُ لا تَمْضِي العُقُولُ يَجُوبُ

---

(1) في الأصل : أقاع

(2) البلفيقي : كتاب المقتضب ص 17

أَبى اللهُ أن تــدري ذَخائِــــرُهُ الَّتـي إلى شِعْبِهِم مِـن السَّماءِ تَصُـوبُ
هُمُ حَسَنَـاتُ الدَّهْرِ عِنْـدَ كَمـالِهِ وَلَكِنَّهُــمْ عِـنْـدَ الأَنـامِ ذُنُــوبُ
مَحَبَّتُهُــمْ فَـرْضٌ وَرُؤيتهـم هُـدَى ولِلَّذيـنَ مِنْهُم أَلْسُــنٌ وقُلُــوبُ

3 - «الْجُودُ شِيمَتِي»

تُعاتِبُنِي في الجودِ والجُودُ شِيمَتِي وَمَـالِي بِـتَبْدِيلِ الطِبَـاعِ زَعِيـمُ
وَلَـمْ أَرَ مِثْـلَ الجُـودِ. أما حديثـه فَحُـلْو، وأما حُـبُّـهُ فَـقَـدِيـــمُ
ولا خَيْرَ فيمَنْ لاَ يُعَـاشُ بِعَيْـشِـهِ وَلَوْ أَنَّـه فَـوْقَ السِّـمـاكِ مُقِيـمُ
ذَرِيني فإِنَّ البُخْـلَ عَـارٌ بِـأَهْـلِـهِ وَما ضرَّ مِثْلِي أن يُقَـال عَـديـمُ
أَرى كلَّ طَلْقٍ كل خلـق حـميمـه وَلَيْسَ لِمَقْبُوضِي اليَدَيْـنِ حَمِيـمُ
وَكَيْفَ يَخَافُ الفَقْرَ أو يُحْرَمُ الْغِنَى كَرِيمٌ وَرَبُّ العَالَمِينَ كَـرِيـمٌ[1]

4 - «ظَنِّي بِرَبِّي»

يَا مَنْ رَأَى ضَحِكِي عَيْباً وَمَنْقَصَـةً اللهُ أَعْلَـمُ مَـا أَبْـدى وَمَـا سَتَــرا
المُجُنُ أَوَّلُــهَا وَصْفــي وآخِــرُها ظَنِّـي بِـرَبِّـي إذا مَـا غَائِبِي حَضَـرَا
وَأَنْـتَ وَجْهُكَ يَتْلُو لِلْـوَرَى عَبساً فَـاحْـذَرْ أَوَاخِرَهَـا لا تَـتْـرُكَ الحَذَرا[2]

---

(1) و هي أبيات عارض بها الأبيات التالية لإسحاق الموصلي :

وآمرة بالبخلِ قُـلْـتُ لَهَا اقصِـري فَذَلِـك شـيءٌ ما إِلَيْــه سَبِيــلُ
أَرَى النَّــاسَ خِـلاَّنَ الجـواد ولا أرى بخيلاً له في العالـميـن خليــلُ
أمن خير حالات الفتــى لو علمتـه إذا نـال شيئـاً أن يكـون يسـيـلُ
فِعَالي فِعَال المكثريــنَ تَجَمُّـلاً وَمَالــي كَمـا تَعْلَمِيــنَ قَلِيــلُ
وكيف أَخَافُ الفَقْـرَ أو أَدَع الغـنى ورَأْيُ أَمِيــرِ المـؤمنيــنَ جميــلُ

انظر العباس بن ابراهيم : الأعلام، جـ 2 ص 12.

(2) أورد هذه الأبيات التادلي مروية عن إسحاق السلمي عن الغزال، قال : كان الشيخ أبو العباس (ابن العريف) كثير البسط (مع أصدقائه) فعاب عليه ذلك بعض الناس، فرد عليهم بتلك الأبيات. أنظر «التادلي» التشوف ص 121 - 122.

الفـهـــارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس المقطوعات

فهرس الآيات القرآنية

1 ﴿وإن يردك بخير فلا رادَّ لفضله﴾ 66

2 ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ 67

3 ﴿... الدار الآخرة نجعلها للذين﴾ 68

4 ﴿هزا عطاؤنا فامنن أو أمسك﴾ 68

5 ﴿يا موسى كن لي كما أريد أكن﴾ 71

6 ﴿مسني الضر﴾ 73

7 ﴿ترى الظالمين مشفقين مما﴾ 76

8 ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ 78

9 ﴿من كان يرجو لقاء الله ...﴾ 80

10 ﴿أولئك يرجون رحمة الله﴾ 80

11 ﴿أئفكا آلهة دون الله﴾ 81

12 ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ 81

13 ﴿والذين جاهدوا فينا لنهديهم﴾ 83

14 ﴿وأن تعدو نعمة الله لا تحصوها﴾ 84

15 ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ 88

16 ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ 92

17 ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا﴾ 93

18 ﴿ومارميت إن رميت ...﴾ 93

19 ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ 93

20 ﴿وإن كانت إلا صيحة واحدة﴾ 93

21 ﴿ألم تر إلى ربك كيف مَدَّ الظل ﴾ 94
22 ﴿وهو معكم أينما كنتم ﴾ 95
23 ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم ﴾ 97
24 ﴿قلْ أي شيء أكبر شهادة...﴾ 97
25 ﴿إنا خلصناهم بخالصة بذكري﴾ 98
26 ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ 98
27 ﴿وليبلي المومنون منه بلاء﴾ 98
28 ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ 98
29 ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ 99
30 ﴿يخافون يوما تتقلب فيه﴾ 99
31 ﴿ألم تر إلى ربك كيف﴾ 99
32 ﴿وما بتلك بيمينك يا موسى﴾ 99
33 ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي ﴾ 99
34 ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ 99
35 ﴿وعجلت إليك ربي لترضى﴾ 99
36 ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ﴾ 100
37 ﴿قد أفلح من زكاها﴾ 101
38 ﴿فلا أقسم بالنفس اللوامة﴾ 101
39 ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ 101
40 ﴿ادخلوها بسلام﴾ 101
41 ﴿كلوا واشربوا هنيئاً ﴾ 101
42 ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ 101
43 ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ 101
44 ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ 105

45 ﴿يثبت الله الذين آمنوا ﴾ 105
46 ﴿لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا ﴾ 106
47 ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة ﴾ 106
48 ﴿ أم من يأتي آمنا يوم القيامة﴾ 106
49 ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم ﴾ 108
50 ﴿خلق فيها ما لا عين رأت ... ﴾ 108
51 ﴿لنفد البحر قبل أن تنفد ﴾ 108
52 ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات ﴾ 109
53 ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ﴾ 109
54 ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ 110
55 ﴿لقد أوحينا إليك وإلى الذين ﴾ 110
56 ﴿فاستقِم كما أمرت﴾ 110
57 ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ 110
58 ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لِغد ﴾ 110
59 ﴿والذين جاهدوا فينا لنهديهم ﴾ 110
60 ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ﴾ 110

فهرس الأحاديث النبوية

1 « يا موسى كن لي كما أريد...» 71

2 « فيها مالاعين رأت ولا أذن ...» 82

3 « خلق فيها مالا عين رأت...» 108

4 « شيبتني سورة هود...» 110

فهرس المصطلحات

ـ أ ـ

الأترج : ص 84

الإحسان : ص 80

الإرادة : ص 65

ـ ت ـ

التحقيق : ص 88

ـ ح ـ

الحب : ص 87

الحق : ص 92

الأحوال : ص 63 ــ 97

الحيرة : ص 92

ـ خ ـ

الخوف : ص 75

ـ ر ـ

الرجاء : ص 89

الرعونة : ص 79

الرؤية : ص 106

ـ ز ـ

الزهد : ص 67

ـ ش ـ

شرب : ص 88

الشوق : ص 93

ـ ص ـ

الصبر : ص 71

ـ ذ ـ

الذوق : ص 88

ـ ع ـ

عين الحقيقة : ص 99

ـ ف ـ

الفناء : ص 87

ـ ك ـ

الكرامات : ص 63 ــ 202

الكشف : ص 96

ـ م ـ

المحو : ص 87

المريدون : ص 68

المقامات : ص 99

ـ هـ ـ

الهمة ــ الهمم : ص 63 ــ 96

ـ و ـ

الوجد : ص 101

فهرس الأعلام

ـ أ ـ

أبو يزيد : ص 66 ـ 76
أيوب : ص 72

ـ ر ـ

رابعة العدوية : ص 70 ـ 72 ـ 74

ـ د ـ

داود : ص 74

ـ ذ ـ

ذو النون : ص 108

ـ ش ـ

ـ الشابلي : ص 76 ـ 77 ـ 94 ـ 95

ـ ض ـ

الضحاك : ص 99

ـ ع ـ

عيسى : ص 91
عتبة : ص 74

ـ م ـ

معروف الكرخي : ص 103
موسى : ص 10
يوسف : ص 84 ـ 172

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* مصادر الحديث النبوي الشريف

* معاجم التصوف الإسلامي

ـ ابن القطان :

* كِتَابُ نظم الجمان، تحقيق. د محمود علي مكي.

ـ ابن العريف (أبو العباس) :

* مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة، تحقيق د. عصمت دندش ط 1 دار الغرب الإسلامي 1993.

ـ ابن الأبار (أبو عبد الله) :

* التكملة لكتاب الصلة مجريط 1886.

* المعجم في أصحاب القاضي، القاهرة 1967.

* التكملة لكتاب الصلة نشر عزت العطار، القاهرة 1956

ـ ابن عبد المالك (أبو عد الله) :

* الذيل والتكملة، السفر الأول، تحقيق د. محمد بنشريفة، بيروت (دت) والسفر الثامن 1984م.

* الذيل والتكملة، السفر السادس تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1973.

ـ ابن بشكوال (أبو القاسم) :

* الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها، الدار المصرية 1966

ـ ابن ابراهيم (العباس) :

* الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام. الجزء الثاني 1974

ـ ابن العربي (محي الدين) :

* الفتوحات المكية، دار الفكر دون تاريخ

* روح القدس، نشر أسين بلاثيوس.

* فصوص الحكم، تحقيق أبو العلا عفيفي ط،ح، بيروت 1980.

ـ ابن فرحون (برهان الدين).
* الديباج المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)
ـ ابن خلكان :
* وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عباس ج 1، بيروت 1968.
ـ ابن الزيات (يوسف بن يحيى) :
* التشوق إلى رجال التصوف، تحقيق د. أحمد التوفيق، الرباط 1984.
ـ ابن الزبير (أبو أحمد أحمد) :
* صلة الصلة، ذيل الصلة البشكوالية في تراجم أندلسية، أصدره لفي بروففنصال، الرباط 1977.
ـ ابن خير (الاشبيلي) :
* الفهرسة، طبعة بيروت ـ بغداد، 1963.
ـ ابن الخطيب (لسان الدين) :
* الإحاطة في أخبار غرناطة أربع مجلدات، تحقيق محمد عبد الله عنان ط، 2 الخانجي، القاهرة 1974.
* روضة التعريف بالحب الشريف، جزءان: تحقيق محمد الكتاني دار الثقافة ط 1، الدار البيضاء 1970م.
ـ ابن سبعين (عبد الحق) :
* رسائل ابن سبعين، الرسالة الرضوانية، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي القاهرة 1972.
* بد العارف، تحقيق جورج كثورة، دار الأندلس ط 1، 1978.
ـ التنبكتي (أبو العباس أحمد) :
* نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية لبنان (د،ت).
ـ الذهبي (شمس الدين) :
* سير أعلام النبلاء ج 20 (د.ت).

ـ الششتري (أبو الحسن) :
* ديوان الششتري، تحقيق أ د. محمد العدلوني الإدريسي وأ. سعيد أبو الفيوض، ط 1 دار الثقافة، البيضاء 2008.
ـ الضبي (أحمد بين يحيى) :
* بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي 1967.
ـ عبد العزيز (سالم) :
* تاريخ مدينة ألميرية، بيروت 1969 م.
ـ عنان (محمد عبد الله) :
* عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة 1964.
ـ عفيفي (أبو العلا) :
* التصوف الثورة الروحية، دار الشعب، بيروت (د.ت).
ـ الغزالي (أبو حامد) :
* إحياء علوم الدين خمس مجلدات، دار الفكر دون تاريخ.
ـ القشيري (أبو القاسم عبد اللكريم) :
* الرسالة في علم التصوف، دار الكتاب العربي (د.ت)
ـ المراكشي (عبد الواحد) :
* المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط 1 سنة 1978، تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.
ـ مؤنس (حسن) :
* الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام في الصحراء الكبرى، مجلة المعهد المصري، مدريد 1981.
ـ المقري (أحمد بن محمد) :
* نفح الطيب : تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1986.
ـ هويدي (يحي) :
* تاريخ الفلسفة الإسلامية في القارة الإفريقية، القاهرة 1966.

مصادر ومراجع بلغات أجنبية

- Asin Palagios (Miguel) :

  * IBN Massara y su Escuela, Madrid 1914.

  * Ibn AL Arif : Mahassin AL Majalis, Paris 1933:

- Dominique Urvoy :

  * Une étude sociologique des mouvements religieux dans l'éspagne musulmane ... Paris 1972.

- Arman Cuvilier :

  * Nouveau Vocabulaire philosophique, 2em edi

- Paul Nwyia :

  * AL Machriq, XL e annéc fas 2 Mars-Avril.

فهرس الموضوعات

الاهداء I

الاهداء II

القسم الأول

مقدمة التحقيق

الفصل الأول : المؤلف

أولا : عصر ابن العريف التاريخي والفكري والتصوف في تجربته

1 ـ عصر ابن العريف التاريخي والذكري 11

2 ـ التصوف في عصر ابن العريف 16

3 ـ تجربة ابن العريف الصوفية 20

ثانيا : حياته وآثاره

1 ـ حياة ابن العريف 27

2 ـ أساتذته، تلامذته، آثاره :

أ ـ أساتذته 30

ب ـ تلامذته 32

ج ـ آثاره 35

الفصل الثاني : الكتاب موضوع التحقيق

أولا : الكتاب موضوع التحقيق 39

ثانيا : محتوى الكتاب 42

ثانيا : محتوى الكتاب 42

ثالثا : منهجية تأليف الكتاب 47

رابعا : قيمة الكتاب التاريخية والفكرية 49

الفصل الثالث : النسخ الخطية ومنهج التحقيق

أولا : وصف النسخ الخطية 55

ثانيا : منهج التحقيق 58

القسم الثاني

أولا : النص المحقق : كتاب محاسن المجالس، أو بيان في مقامات السادة الصوفية، لابن العريف الصنهاجي. 62

ثانيا : صور المخطوطين المعتمدين 112

ثالثا : ملحقات

ملحق I : خاص بالسند الصوفي لابن العريف وتأثير مدرسته على التصوف المغربي 125

ملحق II : بعض الرسائل من وإلى ابن العريف 127

ملحق III : ملحق خاص بالنصوص التي تشير إلى ابن العريف ولآرائه ونظراته الصوفية في الفتوحات المكية لابن العربي. 148

ملحق IV : ملحق خاص ببعض أشعار ابن العريف 159

الفهارس 164